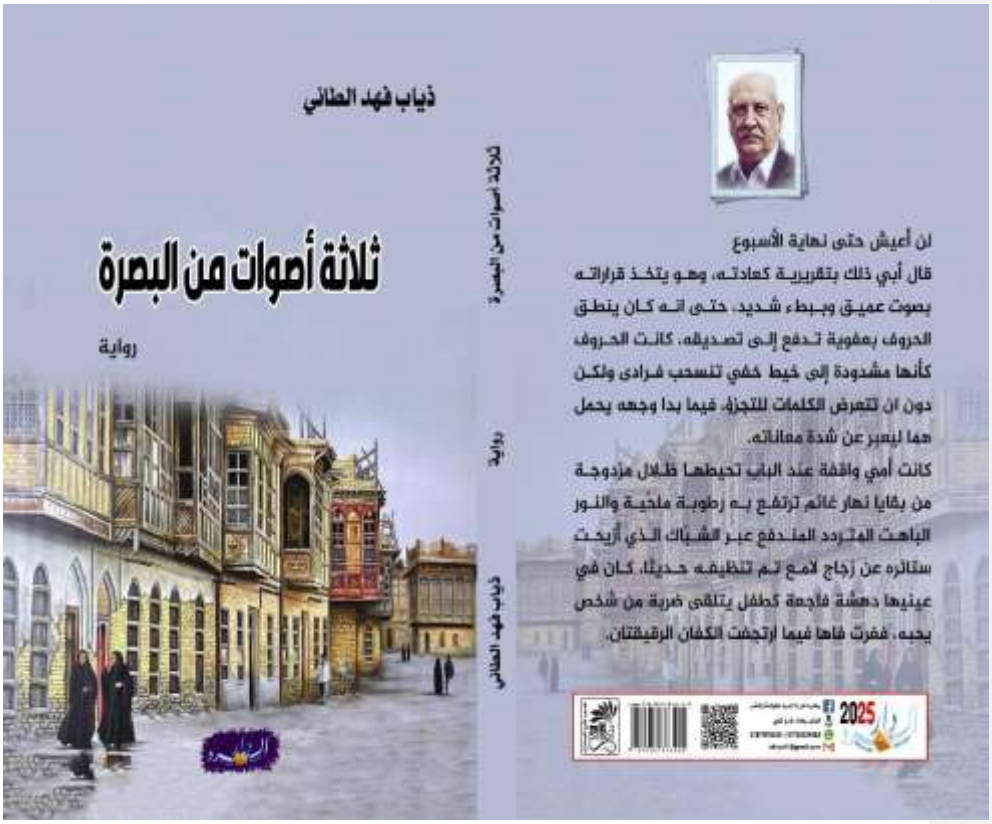
ذياب فهد الطائي
ثلاثة أصوات من البصرة
رواية
ذياب فهد الطائي
رواية
ثلاثة أصوات من البصرة
لن أعيش حتى نهاية الأسبوع
قال أبي ذلك بتقريرية كعادته، وهو يتخذ قراراته بصوت عميق وبطء شديد. حتى انه كان ينطق الحروف بعفوية تدفع إلى تصديقه. كانت الحروف كأنها مشدودة إلى خيط خفي تنسحب فرادى ولكن دون ان تتعرض الكلمات للتجزؤ. فيما بدا وجهه يحمل هما ليعبر عن شدة معاناته.
كانت أمي واقفة عند الباب تحيطها ظلال مزدوجة من بقايا نهار غائم ترتفع به رطوبة ملحية والنور الباهت المتردد المندفع عبر الشباك الذي أزيحت ستائره عن زجاج لامع تم تنظيفه حديثا. كان في عينيها دهشة فاجعة كطفل يتلقى ضربة من شخص يحبه. ففرت فاها فيما ارتجفت الكفان الرقيقتان.
2025

ثلاثة أصوات من البصرة

ذياب فهد الطائي

رواية

صدرت عن دار السرد
الروائي - بغداد 2025

(الصوت الأوّل)

الابن

لن أعيش حتى نهاية الأسبوع

قال أبي ذلك بتقريرية كعادته ،وهو يتخذ قراراته بصوت عميق وببطء شديد، حتى انه كان ينطق الحروف بعفوية تدفع الى تصديقه ،كانت الحروف كأنها مشدودة الى خيط خفي تنسحب فرادى ولكن دون ان تتعرض الكلمات للتجزؤ،فيما بدا وجهه يحمل هما ليعبر عن شدة معاناته

كانت أمي واقفة عند الباب تحيطها ظلال مزدوجة من بقايا نهار غائم ترتفع به رطوبة ملحّية والنور الباهت المتردد المندفع عبر الشبّاك الذي أزيحت ستائره عن زجاج لامع تم تنظيفه حديثا ، كان في عينيها دهشة فاجعة كطفل يتلقى ضربة من شخص يحبه ، فغرت فاها فيما ارتجفت الكفان الرقيقتان

وانسكب بعض الشاي من كوب خزفي ملّون كانت تحمله

تناولت قطعة قماش كانت على المنضدة المجاورة للسرير الذي يرقد عليه ابي . وانحنت تمسح الارضية ،في عينيها نظرة منكسرة مهمومة،

منذ أربعة ايام ، طلب أن يوضع سريره الى الشبّاك المطل على فضاء تنفرج عنه نهايات الشارع المفضية الى ساحة ترابية تتوسطها شجرة سرو أكلت الحشرات معظم اوراقها والمتبقية منها تنتشر فوقها ثقوب، يبست اطرافها وغدت سوداء بسبب عدم سقيها فهي تعتمد على امطار الشتاء الشحيحة في البصرة التي تعاني من شدة الحرارة في صيف طويل

رقد ممدا مبديا خليطا من الإجهاد وحرارة مرتفعة بعض الشيء تدفعه الى التنفس بتسارع فيما كانت قطرات بلورية من العرق تتدحرج احيانا على صدغيه ،تقف امي ضارعة الى الله لمنحه الشفاء وفي عينيها نظرات توسل ،وحين تطبقهما . يبدو وجهها النضر بلون اكثر شحوبا تكشف قسماته عن خوف مبهم

كان بيتنا في الشارع الفرعي المؤدي الى سوق البصرة القديمة كما اعتدنا تسميتها، وهو من البيوت التي كان يسكنها اليهود قبل مغادرتهم المدينة ، وهي عادة بيوت

صغيرة مضغوطة في حواري ضيقة بحيث تكاد الشبابيك في الطابق العلوي تتلامس (شناشيلها) الخشبية المصنوعة من قطع منحوتة بدقة ومهارة والمتقاطعة، بحيث تبدو مليئة بثقوب تسمح بالرؤية وبدخول الهواء ، حصل عليه أبي من مديرية الأموال المجمّدة بإيجار زهيد ، ألأمر الذي لم يسمح لنا بالتفكير بالانتقال منه رغم تحسن وضعنا المعاشي بعد ان تم تعديل رواتب المعلمين .

كانت أمي لاتني تبدي اعجابها بالشناشيل وتجد فيها تحفة (معمارية) فيما كنت استمتع بالنظر من خلالها الى المارة وهم يتحدثون بصوت اسمعه بوضوح

في الايام الاولى لانتقالنا كانت أمي تقوم كل مساء بإشعال مواقد البخور في الغرف والممر وفى المطبخ و وسط المساحة امام غرف النوم الثلاث، تضع كاسه كبيرة وبعد ان تملأها بالجمر ترش عليها الحرمل ، تكرر ذلك سبع مرات لتطرد الارواح اليهودية التي تسكن في المناطق المظلمة وفي الزوايا ، بعد ان تعب أبي من اقناعها بان ما تفعله خرافة ، تركها

تهيمن على البيت رائحة مختلطة من رطوبة تسكن الخشب القديم وأبخرة الأطعمة التي تحضّر يوميا بكميات مميزة من البهارات الهندية ذات الرائحة النفاذة التي يشتهر بها سوق (الهنود) في العشار، وفي الحقيقة فقد اعتدنا على هذا الخليط بحيث لم يكن يسبب لنا اية مضايقة وقد شعرت بشيء من الاستغراب حين أصر عمي في احدى زياراته المتباعدة لنا على ان نفتح الشباك الوحيد الذي يحتلّ مساحة كبيرة من واجهة غرفة نوم والدي على الشارع في الطابق العلوي ،وان يظل الباب مفتوحا للتخفيف من غرابة الرائحة التي لم يستسغها.

قبل ان ننتقل الى بيت (اليهود)كنا في ابي الخصيب ،لوالدي بستان كبير فيه بيت قديم يقع على ساقية يتناوب فيها الماء ارتفاعا حتى الحافة العليا وانخفاضا بحيث يبدو انه في طريقه الى الجفاف ، في المساء تبدو الطرقات خالية إلا من بعض الصبية المكلفين بشراء حاجة ما من البقال الوحيد في اخر الشارع، كان حميدو الدلال صاحب الحانوت رجل مربوع القامة يملك رأسا كبيرة كأنها مستعارة من مدينة أخرى ، وهو يملك وجها فكها ،مرة اشتكيته لأبي لأنه كان يقول ،حكمت لا تنسى تخبر أبو شوارب تركية بأن يأتي ليترجم لي طلبات ضابط الليفي ،قال أبي ،لا بأس

في الليل كانت بساتين النخيل تفرض حضرا للتجوال ، وعند تحرك الرياح بقوة فان نواحا مفزعا يتصاعد من اشجار النخيل التي تشملها ظلال داكنة ،

كنت أخاف التطلع الى البستان اذ يصوّر لي انها تضج بالجن الذين يخرجون ليلا،

وحين انتقلنا الى البصرة تحررت من خوف لم احدّث أحدا عنه

قلت : سأخرج

نظرت نحوي والدتي بشيء من العتب والتوبيخ

قلت : لن يموت ابي، سيقرر في آخر لحظة ان يشفى

كان أبي يتخذ قراراته بعناية ويجتهد في أن تكون واضحة , قال مرة انه سيذهب بعد ثلاثة أيام الى المعهد البريطاني في (العشار) حيث ستعرض ممثلة انكليزية مسرحية شكسبير العظيمة (ماكبث) لوحدها مستخدمة أقنعة لوجوه ابطال الرواية ، وأفاض بشرح التجربة المسرحية الجديدة وأهميتها وكذلك صعوبة تنفيذ مثل هذا العمل، وحدثنا ونحن نتناول العشاء قبل يومين من عرض المسرحية عن أهمية شكسبير في المسرح العالمي وعن تفاصيل دقيقة عن مسرحية (ماكبث) وذكر تفصيلات عن الليدي ماكبث وروحها الشريرة وطمعها الذي لا يقف عند حد واصرارها على ان يقوم زوجها الذي هو قائد جيش إسكتلندا ، بقتل ضيفه الملك (دنكان) وهو نائم ، كما حدثنا بشغف عن الساحرات والأشباح وبقية شخصيات المسرحية ، وكان متلهفا لرؤيتهم على المسرح ليتابع تحركهم ومؤامراتهم ، وعلى الرغم من عدم مبالاتي بما كان يعرضه كنت مضطرا الى الانصات لأنه يجد في عدم الاهتمام بحديثة (قلة أدب)

طلب من أمي ان تكوي البدلة الرصاصية والقميص الكحلي وطلب مني ان المّع حذاءه ألأسود ووقف طويلا أمام المرآة يعتني بشعره ويتأكد من ان شواربه قد التفت نهايتهما بدائرة كاملة ثم خرج تودعه أمي بدعاء حار الى الله ان يحفظه ويعيده سالما رغم انها كانت تشعر بالأسف لأنه رفض ان تضع في جيب سترته العلوي بعض حّبات (الحرمل).

كنا ننتظره على الشبّاك وأنا في الطابق الأرضي استمع الى أغاني راديو الشرق الأدنى وحين أطل من رأس الشارع قالت أمي

افتح الباب لقد جاء أبوك ؟

كان جذلا وفي الحقيقة فقد كان عموما يشعر بقناعة تضفي على ملامحه انطباعا بالرضا ، وحين تبدي أمي (وهذا ما يحدث نادرا) تذمرا كان يؤكد انه قد حقق الكثير وان الفرص التي ضاعت لا تكاد تذكر ، فقد استطاع ان ينتقل من جندي في الحرب التي قادها بكر صدقي ضد الآشوريين في شمال العراق الى افضل معلم للغة الإنكليزية في مدارس البصرة وان يحصل على تكريم (مديرية المعارف) عدة مرات،وحرص على وضع كتب الشكر في أطر متنوعة على رف في صدر غرفة المعيشة

قالت أمي : كيف كانت المسرحية , أرجو ان تكون قد استمتعت بها فقد انتظرتها بشوق

قال أبي: اية مسرحية ؟

ثم استدرك : آه ماكبث , لم اذهب الى المسرحية , لقد ذهبت الى السينما

قالت امي باستغراب : السينما

قال ابي : نعم , كان الإعلان مغريا ولم استطع مقاومته , الفلم ل (كري كوري بيك وآفا كاردنر) , وكما تعلمين فهما افضل ممثلين , على ألأقل هذا ما أعتقده , وهو مأخوذ عن قصة بديعة للروائي الأمريكي (أرنست همنغواي) , ماكبث مات منذ عام 1075 وقد قرأت الكثير عن المسرحية حتى اني احفظ بعض فصولها، ثم لماذا نظل وراء الفضائح والمؤامرات في قصور الملوك وأنا وانت نعرف اننا لن ندخل يوما الى أي قصر ملكي ؟

قالت أمي : انا لا أعرف

كانت كمن يتنصل من تهمة قد يترتب عليها مسؤولية ما ، إضافة الى انها كانت تجد في أبي الرجل الذي يعرف كل شيء وكانت تنتابها حالة من النشوة حين تجده

يقرأ في كتاب باللغة الإنكليزية وخصوصا حينما يرفع صوته وهو يلوي الكلمات بنغمة متأنية فيما يبرم نهايات شاربيه الدائرية ويركز عينيه باهتمام مبالغ به.

كانت شواربه علامة فارقة وفي الحقيقة فأنا لم أصادف في البصرة كلها من له شوارب أبي ألأنيقة والمتساوية والمبرومة النهايات بدائرتين صغيرتين , كان يحرص على العناية بهما ويشذبهما يوميا قبل ان يخرج الى الدوام في مدرسة (الموفقية) الابتدائية للبنين أو ليسهر مع اصدقائه ، كنت يوما اتصفح مجلة عربية وعثرت على بعض الصور لقادة لبنانيين يحملون شوارب أبي نفسها ، اسعدني ذلك فقد كنت أعاني من سمعة شواربه في مدرستي وكان الصبية ينادوني (ابن أبو شوارب) من باب التندر رغم ان آباءهم جميعهم بشوارب ولكن بمقاسات وهيئات ، مختلفة

حين اعلمت ابي باكتشافي

قال: نعم فالزيت الذي استخدمه في تلميعهما وتثبيت الاستدارة في نهايتيهما من لبنان ولكن هل تعرف من أرشدني الى هذا الزيت ؟

-: لا

أحد امراء الدروز الذي تعرفت عليه يوما في مدينة (زحلة) العروس التي لا تشيخ، سأحكي لك يوما تلك الحكاية لأنها غريبة.

ورغم ان شوارب أبي كانت غاية في الأناقة وتضفي عليه منظر الصلابة والحزم وانطباع الرجولة المتعالية الا اني كنت قد اتخذت قرارا بأن لا أحمل مثلهما حينما أكبر ،فهي بحاجة الى عناية فضلا عن صعوبة الحصول على الزيت الذي لابد منه لتكون الشعيرات متراصة بانتظام ولتكون الدوائر كاملة الاستدارة .

كان اهتمامه الثاني ينصب على حذائه ،فهو دائما نظيف ومدهون على نحو يعطيه لمعانا ، وقال له يوما أحد زملائه في المدرسة , انه يشك في انه كان يلبسه وهو قادم الى المدرسة.

-ربما كنت تضعه تحت أبطك

في اليوم الرابع قام ابي من فراشه , رمى الشرشف ألأبيض ونهض الى الحمام , تهلل وجه امي بفرحة تتقافز في عينيها وامتلأ وجهها بابتسامة جعلت وجنتيها اكثر اشراقا , كانت تعتقد من اعماقها وبإيمان مطلق ان ما قاله صحيح ولهذا شعرت بانها تعود ثانية الى الحياة وانها لن تضيع من بعده.

: كنت اعرف انه سيعود

نظرت نحوي بلوم وقالت : لا تتحدث هكذا دونما مشاعر , عليك ان تتذكر دائما انه أبوك ؟

قلت : لأنه أبي ولأنه يتراجع بآخر لحظة , أقول هذا ، منذ شهر وهو يعدنا بان نذهب يوم الخميس الى بغداد ولكنه لم يحدد اي خميس وبرغم ذلك يكرر صباح كل خميس ان لديه أعمالا اهم من السفر.

عند أول وعد لأول يوم خميس بت احلم بالسفر بالقطار ويداخلني شعور غامض بالدهشة من المحطات التي يدخلها القطار ليلا , حيث يشملها ظلام مليء بالأسرار وعلى الرصيف بضعة مسافرين يستعجلون تسلق السلم الصغير الى العربات وآخرون ينزلون منه ثقال الخطوات ، فيما باعة الشاي واللحم المشوي الذي لا يعرف احد مصدره ينادون عليه ، مادين ايديهم الى النوافذ واستمتعت مع خيالي الذي ملأ ليلتي بصور مبهجة عن المرح واللعب مع اولاد خالي في الكرادة عند الشاطئ الساحر لدجلة , مستعيدا ذكريات سفرة سابقة،

بيت خالي يقع في منطقة زراعية يتوقف في بدايتها الباص ألأحمر ذو الطابقين والذي كنت اصر ان اصعد الى طابقه الثاني لأحدث اصدقائي عند عودتي الى البصرة , ثم نمشي بين النهر والنخيل واشجار الليمون والبرتقال وبضعة بيوت يفصلها عن الشارع الترابي سياج من الشجيرات الصغيرة والأسلاك وعادة ما تكون البيوت على مسافة من الباب المصنوع من جذوع النخيل أو من الصفيح

كان بيت خالي في حقيقة الأمر مكونا من ثلاث بيوت منفصلة يلفها سياج من الطين مرتفع ، قالت أمي ان خالي متزوج من ثلاث نساء ولكل امرأة بيت ولهذا فأن لديه خمسة عشر بين بنين وبنات وحين سألتها : لماذا اذا لم يتزوج ابي من ثلاث نساء ليصبح لي أخوة يدافعون عني في المدرسة نهرتني بشدة وقالت،

-أبوك رجل عاقل .

ولم افهم في الحقيقة ما علاقة ألأمر بالعقل ولكني لم أسألها فقد بدت مهمومة ولهذا قررت ان أتزوج عندما اكبر ثلاث نساء وعلى أن تكون واحدة منهن ابنة خالي(عبير) فهي الوحيدة توافق ان تلعب معي كرة القدم، كنت أتعمد توجيه الكرة الى وجهها حين تتقدم نحوي ولكن ما يفرض علي ان اكون حذرا قدرتها على المراوغة والزوغان وحينما نعود الى البيت كانت تحرص على أن اغسل يديّ ووجهي وتقوم بتسريح شعري المجعد والذي يأخذ منها بعض الوقت ،بعدها تذهب هي للاغتسال، كما كانت تحرص على ان أكون الاول الذي يستعمل الارجوحة المثبتة بالحبال الى نخلتين في وسط الساحة الترابية

قال أبي : ماذا يقول هذا الملعون

قالت امي : لا عليك

لم تكن امي بارعة فيما نسميه المناورة في الحديث , كانت حتى مع صديقاتها من النسوة اللاتي يتجمعن بين آونة واخرى صريحة وعفوية وهي على العموم مقلة في حديثها وترى ان اهم ما في الحياة هو الحب ألأسري لأنه الدائرة التي يجب ان تشغل المرأة نفسها بها، كان هذا الجو الذي يشكل معادلة نموذجية لحياة هانئة ومستقرة هو ماكنت انعم به حقا , قناعة ابي بانه حقق معظم الفرص التي اتيحت له وحب امي الذي يسبغ على البيت سلاما دائما كانا كزورق ينساب في ريح مواتية .

كان ابي يعتني بها في فترات المرض أو الإجهاد بسبب اعمال البيت التي تبدو احيانا انها بلا نهاية ، ويصرّ ان يعد الإفطار بنفسه وان تجلس هي الى المائدة واحيانا كان يأتيها بالشاي وهي في الفراش مصرا ألا تتحرك وكانت تشعر بحرج كبير، يبدو ذلك في قسمات وجهها وفي حركات اصابعها المستمرة

قال وهو يمشي مرحا : أم حكمت احذري هذا

حين خرج كان قد انهى تسريح شعره على طريقة (كري كوري بك) وتأكد من دائرتي شواربه بعد ان دعكهما جيدا بالزيت . كان شعوره بالحياة عميقا هادئا وهو يقبل عليها مسرورا

بدأت أمي مشوارها اليومي في البيت , رتبت الفرش بعد ان ابدلت الأغطية وقامت بكنس غرفة النوم أولا ثم بقية الغرف الثلاث ورشت معطرا برائحة الليمون بعدها دخلت المطبخ ، كانت تمتاز بروح شديدة الولع بالتنظيم وشديدة الصبر على وضع لمسات دقيقة وملائمة ليبدو البيت كله متناسقا وتشع فيه رائحة طازجة ، تقول انها صدمت حين دخلت البيت أول مرة وكان عمري حوالي السنة والنصف، كان يبدو مهجورا ولون الخشب من الداخل باهتا اما من الخارج فقد كان لونه قد تحول الى الرمادي وتغلف الأرضية والزوايا طبقة من الأتربة فالبصرة تمطر في العادة غبارا خشنا هو خليط من رمال تذروها الرياح واتربة من الشوارع المسكونة بها، و ما ارعبها عشرات العناكب التي ملئت شباكها بصيد متنوع فيما راحت هي تتنقل بشيء من الألفة في ا لمكان ,

تؤكد انها شعرت بخوف غامض يشد على جسدها كله فترتجف رعبا اخرسا يتمدد الى اطرافها فتحس برودة تسري ببطء تعصرها كجني يتمطى في فراغ معتم ولكنها تشم رائحته المخيفة ، حاول ابي ان يقنعها بأن يستأجر بعض العمال للقيام بأعمال التنظيف والترميم ولكنها رفضت ، قالت الخوف والرهبة ليستا اكثر من رعشة حمى عابرة لن أحتاج اكثر من ان أتماسك بعض الوقت أو ان أتناول حبتي أسبرو , بعد اربعة ايام كان ابي يقف مدهوشا , كان كل ما في البيت يضج بلمعان يضفي على المكان كله بهجة ، كان الخشب قد تم دهانه والأرضية أ برزت جمالية البلاط الذي يكسوها كنوعية نادرة لا يتم تصنيعها في الايام الحالية ،كان البلاط ابيضا بحواف ذهبية وفي وسط القاعة وفي الغرف تتشكل رسوم هندسية بالغة الروعة ، قامت امي بوضع البخور في كل زوايا البيت كما وضعت مصحفا في كل طابق موضوعا على كرسي خشبي حرصت على تغليفه بقطعة قماش خضراء.

قالت : هذا سيعمل على طرد الجن الذين تركهم اليهود في البيت ليحرسوه لهم ، انه الآن محروس بأسماء الله الحسنى في كتابه العزيز ، والآن فقط يمكن ان أنام دون خوف أو كوابيس , مطمئنة على ولدي وعليك.

كانت أمي في سنتها النهائية للدراسة الثانوية حينما تزوجها ابي وكونها كانت في القسم ألأدبي فهي على اطلاع بالأدب عموما وكانت من جانبها تجد في نفسها ميلا للشعر ولهذا كانت تحفظ قصائد عديدة للرصافي واحمد شوقي والجواهري وبعض المقطوعات من الموشحات ألأندلسية وكنت اسمعها وهي في المطبخ تردد باستمرار ((جادك الغيث اذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس))

كانت لديها طريقة بسيطة في ابتكار حكايات تقفز فوق حدود الواقع وتنسل بمرونة مدهشة الى احلامي فأنشئ عالما في مخيلتي من تصورات بهيجة ملونة ، ذات صدى كصوت الكناري ألأصفر في القفص الموضوع على افريز شبّاك الجيران الذين لديهم فتاة (كقطر الندى) بشعر اصفر يتماوج حينما تنحني على ألإفريز لتتطلع الى الشارع فيما تطرف عيناها المندهشتان الخضراوان وفكرت، ستكون الزوجة الثانية.

قالت امي : ولكنها اكبر منك

قلت : وانا سأكبر

ولكن لماذا هي ؟ :

لأنها تشبه الحورية التي حدثتني عنها

-ولكن ماذا عن عبير ابنة خالك؟
-لن أتزوجها ،قلتها بإصرار
،التفتت امي نحوى
ماذا حدث ؟
-لا شيء، ولكني عرفت انها عنيدة ولا استطيع تغييرها ، كما انها تتسلق النخلة الزهدي أمام باب بيتهم وكأنها قرد
كنا في (البقجة) كما تسميها وكانت نخلة الزهدي مثقلة بعذوق تلتمع (بخلال اصفر) وحين ابديت رغبتي ببعض الخلال قالت عبير إن خلال الزهدي لا حلاوة فيه حتي يبدأ مرحلة الرطب ،وحين رأتني غير مصدق ،نزعت الشبشب البلاستيكي وبسرعة تسلقت النخلة ، كنت قلقا عليها ،قالت اجمع الخلال ولكن لا تذوقه حتى انزل ونغسله ،كان طعمه غير مستساق ،نظرت عبير نحوي بشيء من التشفي ،شعرت انها تسخر مني

كان أبي يدافع عن الرومانسية وكانت أمي برغم تماهي شخصيتها فيه تتلمس أحيانا طريقا مختلفا , كان ابي معتدا بنفسه ويعتقد انه يمثل مركزا لدائرة واسعة وان عليه ان يظل دائما في نقطة المركز هذه محافظا على ذات المسافة لنصف القطر ليضمن ثباتا نسبيا مقبولا ضمن حركة المحيط وكنت بوقت مبكر استطيع ان أحدد ان هذه النرجسية والتي يسميها هو باستمرار روح الرومانسية تنطلق من خيال مبالغ في حريته على التمدد بكل الاتجاهات معبرا عن عواطف متباينة وقوية.

لقد بدأت أعي على نحو اكثر وضوحا بعد العام العاشر من عمري وبعد ان استطاعت أمي بمثابرتها التي لاتكل معي أن ابدأ قراءات لقصص (ارسين لوبين) اولا والتي كانت تفتنني بمغامراتها وما تفتح من اسرار مدهشة عن عوالم سحرية من المكر والمهارة في التخلص من الأعداء وكان يسعدني جدا عندما اجد(لوبين) وقد تخلص من مأزق ما وكان ايضا يملأ احاسيسي بالنشوة فأغفو وانا احلم بان اكونه هنا في البصرة وان اتنقل عبر الشناشيل من شباك لآخر بخفة القط وسرعة الفهد.

قلت لأمي: لقد اكتشفت كنزا

قالت امي : كيف وأين؟

قلت : لقد افتتحت مكتبة جديدة في (السيف) وتؤجر الكتب لقاء اربعة فلوس للكتاب الواحد وأرغب في قراءة كتب (روبن هود)

قالت أمي : سيكون لك مبلغا اضافيا ولكن كتاب واحد في اليوم

وافقت وانا اشعر بالرضى وفكرت وانا استلقي على فراشي فيما ظلمة داكنة تحملني الى عوالم مليئة بالغابات وبأشباح سريعة الحركة تعلو وجوهها ابتسامة شجاعة.

كم هو عظيم ان احقق العدل بالقوة

كانت العطلة الصيفية موزعة بين كرة القدم في الساحة الترابية حيث تراقبني امي باستمرار وترفض ان تسمح لي بالذهاب مع الصبية لخوض مباريات في احياء اخرى، وبين قراءة مغامرات(روبن هود) الساحرة

ذلك كله لم يمنعني من ان ألحظ تحولا في وجه امي ، أولا امتد ببطء الى سلوكها ، لقد بدأت النظرات المندهشة والمستغربة تتحول الى ترقب ممض وكأنها تعاني من حالة احباط او انكفاء ذاتي مليء بالمرارة , وبدأت تفقد الحماس النابض بالحيوية والمفعم بالمرح واصبحت حركتها في البيت وهي تعمل توحي بحساسية مؤلمة ، وكنت أراها احيانا تضغط على جبهتها بعصبية في محاولة لتخفيف نوبة الصداع التي تلح عليها فتبدو وكأنها تعاني من خذلان يسد عليها منافذ الفرح أو حتى الرغبة بالمشاركة فيه.

أما أبي فلم ألحظ عليه تغيرا يذكر , كان لايزال يعتني بشواربه التي تنتهي بدائرتين يشدهما الزيت الذي يدعكهما به كل صباح ، كما كان لايزال يحرص على ان تكون ملابسه التي يستبدلها يوميا , مكوية , وحذاؤه لامعا , بالطبع كانت امي من يقوم بكل العمل المطلوب لهذه الأناقة الملزمة , كان يبدو دائما كنجوم السينما الذين اراهم في الصور , فهو طويل وجهه دقيق الملامح وشعره بتسريحته ألأزلية يشبه ((كري كوري بك)) حتى اني حرصت ان اشاهد فلما يجمع بين(بك) وآفا كاردنر وقد خرجت بقناعة ان امي اجمل من كاردنر وان شوارب ابي تمنحه ملامح شخصية مؤثرة وهذا ما يجب ان اعترف به رغم اني قررت ان لا اقلدهما عندما اكبر وتنمو شواربي ، كما ان أبي يملك شخصية لها حضور متميز ومؤثر وهذا ماكنت اسمعه من طلاب الصفين الخامس والسادس الذين يدرسهم اللغة الإنكليزية رغم سخريتهم من شواربه كونها فريدة والتي لا يملك أي شخص آخر في البصرة مثلها.

في السابق كان أبي يحرص على العودة الى البيت بعد مشوار المدرسة ولكن مع التغير الذي طرأ على امي كان يذهب عصر كل يوم الى بيت السيدة(ام فريال) ليعطي ابنتها محاضرة في اللغة الإنكليزية ، وفي الحقيقة فأني رأيت فريال مرة واحدة ولكني لم ارتح لها فقد كانت تبتسم على نحو مفتعل وبكثير من الكراهية وتتصرف بترفع مبتذل ومتعمد لإيصال بعض من مشاعرها الى الآخرين الذين ربما فاتهم الانتباه الى الابتسامة المهينة التي تحشرج بين شفتيها الرفيعتين الى الحد الذي تبدوان فيه أحيانا ممسوحتين.

لم أدرك سر العلاقة بين هذين المتغيرين ولكني قررت و بحزم ان لا تنضم هذه (الفريال) الى زوجاتي , بالمقابل كانت امها امرأة رقيقة وناعمة , صحيح انها

تتصرف بشيء من الأرستقراطية (كما قال أبي) ،كانت امرأة ممتلئة بضة ، ,شعرها الأسود ينحدر على كتفيها

كانت تدرك بيقين وثني انها جميلة وتتنبأ مسبقا بما يمكن ان يكون رد الفعل على نظراتها المبهمة بوعود مرائية من عينيها اللتين يصعب اعطاء وصف دقيق للونهما , اذ يبدو ان سرا غامضا يكمن في اعماق حدقتيهما فيبدوان احيانا .نرجسيتين وفي احيان اخرى مزيجا من خضرة مزرقة بتموجات رمادية فاتنة

. قال ابي انها امرأة ساحرة

كنا مساء نستمع الى اغان متنوعة من الراديو الكبير ذو العين السحرية فيما يتشاغل ابي بشرب الشاي ببطء وكانت امي ترفو بنطال المدرسة الذي تمزق عند الركبة جراء لعبة كرة قدم صاخبة في الساحة الترابية حينما طرق الباب بشدة فأسرعت بفتحة

لأشاهد ام فتحي , امرأة عجوز كثيرة الثرثرة تشغل امي احيانا الى الحد الذي تتأخر فيه عن اعداد طعام الغداء وكان هذا ما يدفعني الى النقمة على العجائز اللواتي أود لو استطيع الحجر عليهن في غرف مظلمة يتسلين فقط بالصمت الذي يرشح من الزوايا ويطبق على شفاههن المتيبسة فيخلدن الى السكينة الموجعة

هل الوالد في البيت ؟-:

عجبت بشيء من الحذر فقد بدى لي السؤال مريبا

وأمي ايضا

قلت ذلك بتخابث

نادت امي لتدخل وقالت وهي تقبلها

- سنشرب الشاي سوية

استأذن أبي ليصعد الى الطابق الثاني ليطالع الجريدة

قالت ام فتحي : ولكني جئت من أجلك

قال أبي : خيرا ان شاء الله

قالت ام فتحي : الخير كله , وهل جئت يوما بشر والعياذ بالله

قالت أمي محرجة : كلا ولكنها الكلمة التي تقال

قالت ام فتحي : سأدخل بالموضوع مباشرة

لم أفهم لم كل هذا اللف والدوران وراء جدار الكلمات وعبر الظلال الداكنة لمعان ،يمكن ان لا تصل اليها الأشعة البيضاء حتى وان بقوا يتدارون وراءها طوال الليل

تابعت ام فتحي : صديقتي ام فريال تبحث عن مدرس ليعطي ابنتها فريال دروس تقوية باللغة الإنكليزية لأتها ستؤدي امتحان البكالوريا , قال فتحي ان ابو حكمت هو احسن استاذ لغة انكليزية ولهذا فكرت ان اعرض الموضوع عليكم ، اما ،ألأجور فيمكن ان تبحثوها بينكم مباشرة , هذا لو وافقت

قال ابي : لابأس

قالت أم فتحي : سأعلم ام فريال , هل يناسبكم ان تزوركم غدا ، تسكن على شط البصرة في(نظران) وبالمناسبة فهي لا ينقصها المال , كانت زوجة مستورد .كبير للسجاد الإيراني الفاخر

استفز امي كلمة (كانت) فقالت مستوضحة : والآن ؟

ارملة وهي التي تدير تجارة زوجها

آه -:

قالتها امي طويلة ولم تستطع ان تخفي انفعالها الذي بدا في اختلاج عضلات وجنتيها الموردتين ، بدأ شيطان الغيرة يشق طريقه التي كانت مظلمة يتعذر عليه ان يغذ السير فيها على نحو مباشر ومستقيم فيتيه كدليل لم يكتسب بعد خبرة كافية، الان وضعت العجوز ام فتحي أمامه كشّافا صغيرا ولكنه كاف ليتجاوز العوائق .الى قلب أمي

كنت قد بدأت اشعر بما حولي على نحو اكثر تجاوبا وربما يعود هذا الى روبن هود ،ولفت نظري مجموعة العربات الي تجرها خيول هزيلة وبطيئة الحركة ،كان مجمع العربات عبر الشارع في الساحة المقابلة لبيتنا وكنت اسمع أصوات

(العربنجية)الحادة والضجرة وهم يستحثون الخيول المتعبة على الإسراع في حركتها ،واراهم وهم يوجهون ضربات موجعة لتلك الخيول الصابرة ،وحين اعود الى روبن هود وتعامله الإنساني مع حصانه النشط والقوي والسريع ، أود ان يعاقب كافة (العربنجية)في البصرة أو ان يتم تشغيل الباص بين البصرة والمستشفى الملكي ليتوقف تعذيب تلك الخيول

الصوت الثاني

الأم

بدأ كل شيء بعد زيارة(فريال) وامها ليتفقا على قيام زوجي بإعطاء فريال دروس ،تقوية باللغة الإنكليزية ، لأنها ستؤدي امتحان البكالوريا للصف الثالث المتوسط

كانت الفتاة تتحايل لإخفاء خبث يتبدى في نظرات عينيها الضيقتين وفي الطريقة التي تستمع فيها الى الحديث الدائر بخصوصها، أما الأم فقد كانت حريصة ان تعطي الانطباع بأنها رقيقة ، بالغة التهذيب وتنتمي الى طبقة أخرى ، وهي اذ تجامل بتواضع تصر أن تجعله محسوسا من الآخرين ، و لا ترى مبررا لأن تقترب الى الحد الذي تتقلص فيه المسافات ، وكان من الواضح انها تعيش رفاهية .تتبدى في ملابسها وفي بعض الحلي التي تتزين بها

كان وجهها يبدو وكأنه قد تم رشه بطبقة خفيفة من دقيق ناصع البياض ، فيما لم تستطع ان تخفي المسامات المفتوحة في بشرتها سيما فوق الوجنتين المكتنزتين ولكن لابد من قول الحقيقة في إنها تمتلك شعرا غاية في الجمال والحيوية يتهدل بجمال ساحر على كتفيها ، كما كان صوتها مغناجا تتكسر أحرف الكلمات على .شفتيها برنين كريستالي غريب ، يظل صداه يتردد في الأذن بنغمة ساحرة

وعموما لم اشعر بالارتياح تجاهها ولكني بذلت جهدي كي اخفي تلك المشاعر ،

لم تتوقف عند سعر المحاضرة بل زادت بأنها ستعطي الأستاذ هدية منزلية ثمينة فيما لو أحرزت ابنتها درجة متقدمة في مادة اللغة الإنكليزية ، ولكن شرطها الوحيد ان تكون المحاضرات في منزلهم وفي الوقت الذي يحدده الأستاذ على حد .تعبيرها

قال عبد المنعم : اعطني فرصة حتى مساء الغد وسأرسل الرد مع أم فتحي

قالت : سيارتنا في بداية الزقاق ولهذا لا تتعبا نفسيكما بمرافقتنا

بدا ذلك إعلانا عن حالة لم يراع فيها التوقيت المناسب فجاء فجا وغير مقبول، تذكرت الإعلانات البدائية المصاغة بلغة ركيكة وبالوان مرتبكة على ورق اسمر .معد للف الحاجيات

فكرت: حاولت ان تكون منفتحة وان تدفن عدوانية مشاكسة

قال عبد المنعم : لن نراها بعد اليوم ولكن ما رأيك بعرضها ؟! , اعتقد انه ملائم فنحن بحاجة الى مبلغ أضافي.

قلت : يبدو انك قد اتخذت قرارك ولكن على العموم لا أجد مانعا

قال حكمت : تبدو ابنتها كشيطان مذعور

كانت اسئلتي قد أصيبت بالخرس حتى اني لم أكن أستطيع رؤيتها فقد تاهت في أعماقي،

شعرت اني أنحدر الى زمن آخر ، بعيدا عن بيتي وإبني وزوجي زمن تدور فيه حولي وجوه غريبة ، ولم يكن مستقبلا يعيش في هواجس معلولة , كان زمنا آخر في كليته يختبئ في زواياه ضباب رمادي كالذي رأيته مرة في السينما بأحد افلام (هتشكوك) , كان يملأ كوخا منعزلا عند البحر وهو يتقدم من كل الجوانب بدفعات دائرية كأنما هي دفقات من جراء شياطين سوداء كانت تلهو بالنفخ على بعضها البعض.

تمددت على فراشي , كانت الظلمة تتقدم متماسكة ككتلة هائلة وشعرت انها تسحقني واني أهبط الى اسفل تحملني ظلال مشبعة برائحة مخدرة بسرعة مخيفة، كنت لامبالية وتركت نفسي لمصير غامض يستحوذ على روحي همّ أبكم

ربما جراء غيرة لم اعرفها قبلا

جاء عبد المنعم بعد ان تأكد من نوم(حكمت) في فراشه، وضع يده على ظهري ثم انزلها ببطء وشعرت بأنفاسه حارة تسقط على رقبتي فتزيد من سرعة اندفاعي الى القاع واشعر على نحو واع إني افقد شعوري بذاتي ، أحسست بقطرات من عرق جبهته ينساب على وجهي ثم انطرح الى جانبي.

كان عبد المنعم ... وسألت نفسي بمرارة (ماهي الحدود المفترضة لهذه أل(كان), ما هو زمانها , من أين يبدأ وأين ينتهي , وهل هناك صورة محددة لها .. صورة بملامح واضحة تكون بعدها قد أخذت شكلا آخر أو قد طرأ عليها تغيير واضح المعالم ، صحيح انها فعل ناقص قد تحقق في الماضي ولكن اين نقصانه ؟

كان عبد المنعم يمتلك حسّا شعريا بالغ الرقة والرهافة ويتصرف بحنان معي، وبشعور بالمسؤولية مع الآخرين ومع عمله ،وقد جعلني هذا أعيش حالة فيها الكثير من التميز عن النساء اللواتي أعرفهن في الحي الذي أسكنه أو اللواتي تعرفت عليهن في السوق ونشرن أمامي بوقت قصير ونحن نتبضع اسرار حياتهن كلها حتى قبل ان يتعرفن على إسمي.

كنت أعشقه نهارا واتلو صلواتي في خشوع مسحور في ليل البصرة الحار والرطب وراء الشناشيل التي تزين غرفة النوم من الخارج ، كنت أشعر إن حبه اكثر ديمومة من الحياة نفسها , وكان هذا يتجدد باستمرار مع كل كلمة وجد يسكبها في اذني بتواطؤ حذر ونحن على مائدة الإفطار، أو حين يعود من المدرسة ويطبع على خدي قبلة تفضح اسرار رغبته.

في البدء كان الحب قد سقط كنيزك لا يمكن رده فحفر في قلبي كهفا الجأ اليه واضعة رأسه بين راحتي أبحر في ثنايا ملامح وجهه الرجولي والشهواني وأشعر اني في حالة تجدد مستمرة

كان زواجنا تقليديا فأنا لم التق به او اتعرف عليه ،لم اكمل الثانوية في بغداد فقد كان مشوار الذهاب الى المدرسة متعبا خصوصا في فصل الشتاء حيث يسح المطر مدرارا ولا تساعدني المظلة التي جلبها لي أخي ،لم يكن في خيالي فارس على فرس ابيض ولا عاشق يسمعني شعرا في الحب رغم اني كنت اهوى الشعر واحفظ لشعراء شتّى

قال أخي : لقد رأيت الأستاذ عبد المنعم , انه معلم في البصرة ويمتلك عن أبيه بستانا كبيرا على شط العرب وبيتا في قضاء أبي الخصيب , هو وحيد أبويه اللذين ، توفيا ولديه عمة تسكن القضاء وسلوكه يمكن ان أزكيه

كنت الصغرى بين ثلاث بنات وولدين البنتان تزوجتا والأخ ألأكبر هاجر الى امريكا بعد ان انهى دراسته في الاقتصاد وأخي (بهجت) متزوج من ثلاث نساء ولديه خمسة عشر طفلا حتى اني أجد صعوبة في تذر ايمائهم وبعضهم بتاريخ ميلاد متقارب

-ثم ماذا ؟

-أنت تفهمين ما أعنيه , انه يطلبك للزواج وبالطبع ستذهبين معه الى البصرة

-: ما تقرره أوافق عليه

كنت عائدة من المدرسة حينما اخبرتني كبرى بنات أخي ان صديق بابا في الصالة، لم يشغلني الأمر فقد كنت متعودة على دعوات أخي لأصدقائه لتناول الطعام فهو كريم النفس ويتمتع بعلاقات واسعة.

مساء كنا نشرب الشاي أمام الباب الخارجي في البستان تحت سماء بغداد الصافية والمنفتحة على نحو لامتناه , فيما كانت نسمات تحمل شيئا من البرودة تهب رخيّة تبعث احساسا بالبهجة، كان هو يجلس في عينيه حياء ، وهو يرفعهما نحوي فأداري ارتباكي بغسل صحون الشاي ، كان في ذلك المساء يشبه تمثالا رأيته في كتاب كبير لدى مدرسّة الرسم في الثانوية(لميكاييل أنجلو) وسيما , ينضح رجولة، وكان شارباه بالغتا الغرابة اذ اني لم أر مثلهما لافي رجال العائلة ولا في من اقابلهم يوميا في طريقي الى المدرسة

قالت زوجة أخي وهي تبتسم : بشواربه , يذكرني بضبّاط الانكشارية الأتراك

كانت زوجة أخي مدرسة الرياضيات ابنة ضابط في (الليفي) وقد تقاعد قبل ثورة تموز وتقول ان ألزعيم(عبد الكريم قاسم) دعاه الى العودة للجيش ولكنه رفض لأن الذي يشتغل مع الإنكليز لا يستطيع تدريب قطعان المتخلفين الذين جاءت بهم الثورة

ولكنها توقفت لاحقا عن ترديد ذلك لأن أخي اقسم ان سمعها تعيد هذ الهراء فلن يسمح لها البقاء في البيت ،لأن مثل هذه العقلية لا يمكن ائتمانها على تربية بناته

قال أخي : كنت في بيروت في فندق(فكتوريا) وهو فندق صغير يفصله عن المنطقة البحرية التي يقع عليها الفندق المشهور(سان جورج) , شارع رئيس أنحدر اليه من الشارع الضيق لفندقي عبر عدة درجات , مساء اليوم الثاني لنزولي في الفندق سمعت أصواتا حادة تتعالى في الممر الذي فيه غرفتي وكان من بينها صوت عراقي اللهجة فخرجت استطلع الخبر ،, كان عبد المنعم في نوبة غضب لأنه حين عاد الى غرفته وجد ان المسؤولة عن الطابق لم تقم بتبديل الأغطية ولم

تقم ايضا بالنظافة اللازمة , كانت الفتاة تعتذر بزحمة العمل وتعده ان تجري اللازم غدا وكان هو يصر ان تتولى الأمر الان، وإلا سيغادر الفندق وسيقدم شكوى ،لإدارة السياحة

من هنا كان تعارفنا , مساء ذهبنا سوية الى (زحلة)

كانت ليلة لا تنسى فالمجمّع المكّون من عشرات المقاهي يقع على منحدر جبلي يمتد في وسطه مجرى عين ماء يحدث خريرا فاتنا يختلط بصوت ام كلثوم واصوات الساهرين التي تتفجر فيها شلالات فرح يتبدى في العيون وفي الأصوات التي تطلق آهات الاستحسان , مئات الموائد العامرة بصحون صغيرة فيها الوان مختلفة من الطعام اللبناني اللذيذ وبين هذا وذاك ترتفع كؤوس صافية تبعث في النفوس المتعطشة للمرح بهجة تزغرد فوق وجنات النسوة المشربة بحمرة مختلطة من الطبيعة ومن صناعة بالغة المهارة ، انت تحس بكل ما حولك وكأنه مصمم للمتعة برفاهية وكأنك في كرنفال عجيب وجدت نفسك فيه فجأة , تأخذك الوان المصابيح وروح الطرب التي تشمل المكان كله من سفح الوادي وحتى رأس ،الجبل , للحظة دار بذهني تساؤل غريب

بماذا يفكر هؤلاء في هذه اللحظة وهم يغرقون في صخب يؤكد في عمق انفسهم حبا مطلقا للحياة حتى في النظرات التي تتبادل السرقة بخيانات تتستر متواطئة . ومتبادلة

بصعوبة وجدنا مكانا وقد وجدت في عبد المنعم شخصا يمتلك حضورا واضحا فهو سريع البديهية ويملك حصيلة من نكات شتى وهذا بالضبط ما يحتاجه المكان .لدفع الملل وللتجديد

تناولنا كأسين , هدّأ من توترنا , بدأنا نستطلع الرواد من حولنا بنظرات متفحصة بطيئة ولكن مدققة و كان من الحماقة ان نفعل ذلك , ولكن روح الشباب وفرح المكان الذي كان حالة معدية وكأسي الزحلاوي الصافي , كان ذلك اقوى من .القدرة على اي نوبة تفكير هادئ أو حيادي

كان الجميع مشغولين , النساء لم ينسين ولا للحظة الاهتمام بزينتهن تتملكهن رغبة مهتاجة بالبحث عن ومضة اعجاب بنظرة خاطفة تتوغل عميقا في عيونهن المتنقلة

كطائر فزع ، الرجال يتبادلون حديثا صاخبا, تجلجل اصواتهم بتأكيد قلق فيما تنطلق نظراتهم بعيدا عبر الطاولات المنتشرة.

قال عبد المنعم : انظر

أشار برأسه الى طاولة عند المجرى كان يجلس اليها شخصان أحدهما قصير ممتلئ مكتنز الوجه يرتدي الملابس اللبنانية التقليدية وعلى رأسه طربوش بني تتدلى منه (كركوشة) الى جانب

عينيه الواسعتين بنظرات تتفحصان الجميع بهدوء و بتمعن، كان البارز في وجهه شارباه كانا قصيرين ينتهيان بنصف دائرة لكل منهما ،على العموم كان مهابا.

الشخص الثاني طويل القامة يضع على رأسه طربوشا مماثلا ولكن بلون احمر قان ويبدو ان الرجل يقوم بدور النديم , وراءهما يقف رجلان مسلحان مما يوحي بان ذا الطربوش البني شخصية مهمه.

كان يدخن (أركيلة) عالية وكأنها تعويض عما يعانيه من قصر.

التفت الى عبد المنعم : ثم ماذا ؟

-هل تصدق ان هذا الرجل سيرشدني الى ما أريد

-وما هو ؟

-تثبيت أطراف الشوارب على هذا النحو الإمبراطوري

ولكن قد يكون في هذا مغامرة-:

-ولو....على ألأقل سنخرج بمغامرة تظل ذكرى هذه السفرة

، لم ينتظر جوابي , قام بعد ان زرر جاكيته وسوى شعره ومسح على فمه

حين توقف عند الطاولة ارتبك الجو عموما في المقهى ووضع المسلحان يديهما على السلاح وتوقف الرجل عن التدخين فيما تجمدت نظرات (النديم) بشيء من الحذر والفضول.

-: اشعر بالأسف لأني اقتحم عليك الجلسة ولكن في الحقيقة لدي سؤال ملح.

احتوته نظرات مترقبة بعدوانية وشعرت انا بالذنب

قال الرجل وهو لايزال بعد غير متأكد أو مقتنع : نعم (شو بدك) ؟

قالها بلهجة حادة قاطعة وبدا انه متعود على اصدار الأوامر دون انتظار ردة الفعل، شعرت بأن عبد المنعم قد ادرك أخيرا انه قد ارتكب خطأ ما فقد عاد ثانية يزرر جاكيته

-حسنا يا سيدي , انا اشكرك لأنك سمحت لي بأن اوجه سؤالي

في الحقيقة منذ فترة وانا متردد بأن اسأل عن نوع المادة التي تثبت الشارب على هذا النحو

تجمدت يد الرجل على انبوب(الإركيلة) وشعرت ان الانتظار , قد اصبح كيانا ماديا محددا يثقل على جوارحي كلها وليس حسابا للدقائق البطيئة

-هل انت من الخليج ؟

لا يا سيدي أنا من بغداد

وهل تعرفني ؟-:

-: لا يا سيدي مع شعوري بأني سأتشرف بمعرفتك

ربما أعجبته الإجابة وربما شعر بأن عبد المنعم صادق ، فقد خفت حدة النظرات المترقبة

اين تجلس ؟

-: هناك مع زميلي

حسنا اذهب الى طاولتك وسيأتيك الزيت الخاص بتماسك الشوارب , ولكن هل تعدني بأنك ستواظب على استعماله ؟

اعدك سيدي

شيء آخر , حسابكما مدفوع ،يمكن ان تسأل أي من الجالسين عني فالجميع يعرفوني جيدا

قال جليسه : ولو (المير)على سن ورمح

بعد ذلك توطدت علاقتي بعبد المنعم فقد زرته في البصرة ورد هو الزيارة ولأني متأكد منه جيدا يسرني ان تقبل به أختي زوجا لها.

كان عبد المنعم يتصرف في (غرفة الدرجة الأولى) في القطار النازل الى البصرة وكأنه يداري بهدوء وبحنان الوقت العصيب الذي كنت أعيشه بلحظاته التي تتفتح مزيجا من الخوف العذري والشهوة التي تنمو بنعومة في جسدي والتي تغذيها طريقته الماكرة ولكن الحنونة والمشفقة وهو يحرك يديه فوق جسدي، كان صوت القطار الرتيب وهو يقطع الطريق بعد منتصف الليل واضحا في ذهني وكأنه يصر على الحضور في حين تلاشت الأشياء والذكريات وصور الناس الذين عشت معهم أو تعرفت عليهم فقد كانت أحاسيسي مفعمة بمشاعر ليس من السهل الحديث عنها، لقد امتزج كل شيء ببعضه ، عرقه الذي يقطر فوق وجنتي ويسد قدرتي على ان اشم رائحة اخرى وانفاسه اللاهبة التي كانت تلفح وجهي فتحملني على وسادة سحريه الى عوالم بالغة الغرابة ، حقول من الأزهار بتويجات تتفتح عن الوان تنطلق منها فراشات ساحرة ،سكون موح يلف كل شيء، تعب لذيذ ، استرخاء يخدر حواسي فأغفو على زنده.

كنت أشعر دائما اني ملكة وأني امرأة مطلوب منها ان تظل دائما ترعى شعبها، وكان هو يعاملني على هذا النحو، ولم يتبدل شيء فقد ظلت حياتنا تنساب بيسر

كنت كل صباح أرى فيه الدنيا , في العتمة الشاحبة لغرفة نومنا، اراه ورديا بالغ النقاء أمدّ يدي الى المكان الذي يغفو فيه فأجده ما يزال دافئا يشع بحنان مفعم برائحة لذيذة واسمع خطاه في الطابق الاسفل يعد لنفسه الشاي ، انهض مسرعة تملأ مشاعري لهفة وحب طاغ ، ان أهيئ له الأقطار ليلحق بعمله كان ذلك يمنحني سعادة ومتعة ، ان انظر اليه وهو يفطر مسترخيا يمنحني الإحساس بأني قد حصلت على ملك حقيقي واني استحقه واني مستعدة لأن افعل اي شيء من اجله ومن اجل هذه اللحظات التي اصر على ان اتمتع فيها بكل الأحاسيس الحلوة التي تملأ روحي بالطمأنينة ،حين يغلق الباب وراءه اتابع خطاه عبر الزقاق الى الشارع من خلف شناشيل غرفة النوم فأشعر بالسعادة واشاهد في عيون النسوة, اللواتي

يقصدن سوق البصرة لشراء حاجاتهن اليومية هدوء عميقا ورضى حقيقيا وكأنهن يتباركن بوجهه في صباحهن الذي سيكون مشرقا ، وأرى في مرح الصبية الذين يملؤون الزقاق بصخبهم ويتعمدون ضرب ما على ارض الزقاق بأحذيتهم فيصدر طنينا يعطي اصواتهم خلفية منغمة ،استكمالا لحيوية ترتبط بهذا العالم الذي أعيشه بادراك يتجسد في الق عينيه المدهشتين , يداخلني شعور بأنه يحرك هذا المحيط الصغير وان الجميع يلتفتون على وقع خطاه بشكل أو بآخر وانه ليس بالإمكان تجاهله أو تجاوزه ... هذا الرجل هو الملك الذي اعشقه أنا الملكة التي اكتسبت هذا اللقب منه ولهذا فأنا مدينة له ما دمت احتل عرشي حتى وأنا اغفو

حينما نزلت من القطار كان عبد المنعم يقودني فيما عامل بعربة خشبية يتبعنا وهو يدخن ،سيارات الأجرة كان سائقوها يتزاحمون على القادمين ،في الطريق الى ابي الخصيب كان الشار يمر بتعرجات لم افهم لها سببا ولم يشغلني لان الطريق المزدحم بالنخيل كان اخاذا ولكني لم أتكلم بقيت استمع الى عبد المنعم وهو يحدثني عن تاريخ المدينة ويستعرض تاريخ البيوت التي كانت على الطريق وشدني أسماء مالكيها الذين تطغى أسماء عوائلهم على أسمائهم

في الطريق النازل الى بيت عبد المنعم كانت تعريشة من مجموعة من شجيرات العنب تمتد لحوالي مئة متر، في المدخل الى الصالة اهتم شخص ما بوضع باقة ورد محلي بفازة زرقاء على طاولة صغيرة حديثا

قال عبد المنعم -هنا سنبقى فترة قصيرة ننتقل بعدها الى البصرة

لم اعلق

في الأيام التالية زارتني بعض نسوة ابي الخصيب هع هدايا للترحيب بالعروس البغدادية ،كانت الفة جميلة ولكن ما كان يدخل الخوف الى قلبي شجرة سدر كبيرة وكأنها قد تم زرعها منذ فجر التاريخ فهي مهملة تماما تشغل مساحة واسعة ، بعد العاشرة ليلا تنوح فيها بومة بيضاء بصوت مقبض وعادة يأتي عبد المنعم بعد العاشرة من نادي الموظفين في مركز ابي الخصيب ، كانت تحرك رأسها بنصف دائرة فيما عيناها المستديرتان مفتوحتين دون أن تطرفا

بدأ عبد المنعم يشكل عالمي كله وكنت أود ان أقول هذا بصراخ عال ليسمعه الجميع , أنا أحبه وأهتم به وأعتني بشؤونه ... أن يكون زيت شواربه تحت اليد

باستمرار وان تكون احذيته لامعة كأنها خرجت للتو من تحت يد صباغ ماهر وان تكون ملابسه دائما مكوية ونظيفة وأن أكون باستمرار انتظر حديثه عن مشاكل عمله مع زملائه ومع تلاميذه , أصغي بتركيز .. كنت قد قررت أن أكون كلي له بمشاعر امرأة تحب وبمقاسات تعرفت عليها من الكتب التي قرأت ومن الأحاديث التي سمعت.

من حسن الحظ انا انتقلنا الى البصرة ،كان البيت الجديد على ناصية الشارع في حي السبخة الصغيرة ،وحين سألت عبد المنعم شرح لي سبب التسمية ،وعموما كانت البصرة في اغلبها ارض سبخة يعمل فيها مئات الالاف من العبيد الذين تم جلبهم من افريقيا عبر الغزوات العربية ، وحين اخبرته عن خوفي من سدرة البستان والبومة البيضاء قال لن يعودا يسببان لك أي قلق ففي السبخة لا تنبت الأشجار كما ان البومة لا تنام في منطقة عامرة

حينما بدأت اعراض الحمل كان عبد المنعم مثل عصفور قلق بين الامل بالوليد والخوف على سلامتي ،كان وضعي الصحي كما اعلمتنا الطبيبة النسائية غير مستقر ،عمل عبد المنعم كل ما بوسعة ليوفر لي الراحة حتى انه استعان بابنة الحارس في البناية التي كانت تقام على ناصية الشارع ،كانت فتاة في الرابعة عشر بوجه داكن السمرة وعينان صغيرتان وصوت ناعم يحمل خوفا فطريا وتملك قدرة على تقديم المساعدة في كافة مهام البيت دون ان تتكلم ،وحين عدت من المستشفى احمل حكمت انطلقت تزغرد عند باب الدار بصوت صاخب دفع بنساء الدور المجاورة الى الخروج لاستطلاع الامر فيما كان عبد المنعم يقودني الى السرير.
حينما بدأ حكمت بالمشي كنت اقضي اوقاتا جميلة معه .....اختبئ في مكان ما وأناديه فيرتفع صوته (ماما ...ماما) اشعر بفرح وأحضنه بقوة فيضربني بكفه الصغيرة محتجا

هذه الحياة لم تترك لي المجال بالتفكير ان زوجي يمكن ان يتغير !!!!

دخل حكمت مسرعا وصعد السلم الخشبي الى الطابق العلوي بعصبية , كان يقفز الدرجات فينبعث منها صرير مكتوم وخمنت انه ربما تشاجر مع اقرانه فقد كان يلعب الكرة في الساحة الترابية وقررت ان أ تركه بضع دقائق ليتماسك ولكن احساسا غريبا بدأ يسيطر علي ... ليس ألأمر مشاجرة عادية .. كان في عينيه

هموم مبهمة , يبذل جهدا كي يمنع عينيه من ان تنفجرا بالبكاء بقوة الطفولة المحكومة بتقاليد الرجولة التي يجب على الأولاد ان يتمثلوا بها وكأن عليهم ان يعبروا الى عالم الغد متجاوزين مشاعر الطفولة الرقيقة والحساسة.

رميت الكتاب الذي كان قد سحرني بأسلوبه السلس والمغرق برومانسية متألقة تستثير أحاسيس عن ذكريات عميقة ربما عن سعادة منسية في عمق ركام ما نواجه يوميا من احداث متنوعة ، كنت اعجب ان تكون فتاة في عمر المراهقة بعد' تستطيع ان تكتب على هذا النحو ألأخاذ , كان العنوان هو الذي استهواني وأنا أتجول في سوق الجمعة للبحث عن سلع مستخدمة ورخيصة قد أحتاجها ,((مرحبا ايها الحزن))

أي روح شفافة تختار مثل هذا العنوان ؟

كانت تصور مشاعر الغيرة النسوية على نحو عميق وبالغ الدقة , تدخل في تفاصيل حياة زوجة ابيها وتدفع القارئ للوقوف معها بحنان آسر.

حين رآه عبد المنعم قال : فرانسوا ساغان هذه معجزة , لقد غزت العالم بأول رواية وما يشدني اليها انها لا تتصور الحياة بدون الحب ولهذا فهي تردد دائما ((العشق هو روح الحياة)).

ترك حكمت حذاءه بباب غرفته ورمى جواربه على الحاجز الذي يحيط بالممر ، في غرفته كان منكفئا على وجهه وواضح انه مغيض

كان يتشبث بالفراش مصرا على ان لا يواجهني وقد اقلقني هذا وبدأ شك مرعب يتسلل الى فكري : ما هو الخطأ الذي يدفعه الى مثل هذا التصرف، ازددت حماسا لأن اعرف اذ لم يكن من السهل ايجاد تبرير مقنع لهذا السلوك لاسيما وانا اعرفه جيدا

-أريد أبي

كان صوته مختنقا

-: سيأتي بعد قليل , ولكن هلا أخبرتني ما الأمر اذ ربما أستطيع مساعدتك

-لا .... اريد أبي

شعرت باكتئاب وبخيبة أمل وكأني تعرضت لهزيمة مّرة أمام اصراره على ان لا يحدثني عن السبب وراء سلوكه هذا ، كان تشبثه بأن لا يواجهني جعلني اشعر انه يعاني وعلى نحو لا استطيع ان اساعده وكان إحساس العجز هذا مضنيا لي , ان سلوكه غير المفهوم وغير المسبوق ايضا جعلني وحيدة وحائرة كمن اسقط في يدها.

قبلته ووعدته ان اخبر ابيه حال حضوره

حين انسحبت بهدوء من غرفته كف عن النشيج وخمنت انه يتسمع وقع خطاي وأنا أبتعد ، يسترق السمع ولكن بهدوء مترقب ، لماذا لا يشعر بتعاطف معي ،أنا امه ، كنت أود ان آخذه بأحضاني وأربت على كتفه كما أفعل كل مرة يلجأ الي وهو يحمل هما يتماوج في مقلتيه السوداوين الصافيتين , لكنه لم يبك يوما بدموع حقيقية كانت عيناه تغيمان ولكن كان من الواضح ان شعورا بالحرج يدفعه الى حبس دموعه ، ربما لأن ابيه يكرر دائما انه رجل.

في الثامنة مساء جاء عبد المنعم , كالعادة بكامل اناقته يطفح وجهه الحنطي بحمرة خفيفة تضفي علية بهجة تسبقه رائحة قرنفلية نفاذة جعلتني اشعر بحيرة غريبة فقد شعرت ان التعطر على هذا النحو وفي هذا الوقت غير مبرر !, وتعلن حركاته المتأنية والمنسجمة عن رضى عميق وسعادة حقيقية كمن استطاع ان يحصل على امنية عزيزة ومازال يستشعر فرحة الحيازة .

-مساء الخير

-مساء النور

كنت أسمع صدى صوتي يرن في رجع نحاسي مكبوت، ويملأ أذني على نحو شعرت معه بشبه دوار , ذكرني بصوت بندول الساعة العمودية في بيتنا في بغداد والتي اشتراها أخي من سوريا , كان صوتها يرن في البيت حادا وترجع الجدران المبنية من طابوق مطلي بالجبس الصدى أجوفا وكأنه يتوسع بكل الاتجاهات ويصل الى غرفة نومي في سكون الصباح الباكر يملأ فضاء الغرفة.

كيف لم أنتبه انه يخرج صباحا ولا يعود الا بعد الثامنة مساء يفوح عطره القوي برائحة القرنفل كأنه خارج للتو من غرفة نومه ! لم تجلب انتباهي عشرات

الأحداث والتصرفات الصغيرة المحبوكة بعناية مبالغ فيها , قال بانه سيسافر مع وفد نقابة المعلمين الى بغداد لمدة اسبوع ، قال بأنه سيضطر الى التأخر يوميا حتى الثامنة مساء أو بعدها بقليل ، وفي أحد الأيام انتبهت الى انه عاد بقميص غير الذي خرج به ، لم افهم ولكن يبدو ان اسلوبه الرخو والهادئ الممتلئ ثقة جعلني اتجاوز عن هذا بل لم يدخل الشك الى قلبي اذ كنت معه اقل خوفا.

-هل صعد حكمت لينام ؟

-صعد نعم , ولكنه لم ينم , انه بانتظارك أذ ان لديه ما يحرص ان يتحدث به اليك ، ورغم كل محاولاتي لم اعرف الموضوع ، انه يبكي

-يبكي !!

-نعم

-سأصعد اليه فورا

خالفت قناعاتي ، صعدت خلفه ، كان هو يتحدث بصوت خافت وكان حكمت ينشج وتصدر الكلمات متقطعة ، الزجاج الملون لشناشيل الممر المطل على الشارع يعكس صورتي , بسبب الإنارة خلفي , كظل انعدمت فيه الملامح فبدى شبح بالغ الخطورة ،قلق مبهم بدأ يراودني ،كان صوت حكمت مزيجا من شك وخوف واتهام.

-من قال لك ذلك ؟

-: حسين .... قال بأنهم زاروك امس وأعطوك هدية الزواج

-: انه يكذب

لا ، انه صديقي ، قال بأنك تزوجت أم فريال , انا اكرهها , فريال قبيحة وامها خنزيرة غبية.

كان صوت عبد المنعم مهزوزا وهو يحاول ان يقنع حكمت بأن ما سمعه ليس صحيحا وأنه مجرد مزاح أطفال ، ولكني كنت أتلمس في كلماته نبرة غريبة، عصبية بعض الشيء ومخاتلة على نحو كنت أستطيع ان أجزم انه يكذب

ظل حكمت متشبثا بعناد مهتاج

-: لا انت تزوجت الخنزيرة

شعرت إني أطفو، لم يعد المكان مساحة تضم كياني فقد بدت عدميته عبثية على نحو فاجع واستحالت اللحظة التي اتنفس فيها في عتمة الممر وانا اتراجع الى سكون مطلق يسقط في داخلي فأحس اني بالونا ممتلئا، وعلى وشك الانفجار ، دفقة هواء صغيرة وينفجر.

شعرت ان هذه اللحظة تختزل حياتي كلها فقد اكتشفت ان كل ما بنيته كان قد أقيم على رمال جرفتها اول موجة واني ألان ، وحيدة مهزومة واشعر بالخجل لأني استرق السمع وأقف كلص يترقب اهل الدار ، يلبسني شك مقهور، أشاهد عبد المنعم وراء جدران الغرفة ضعيفا ، مخادعا بإتقان أحمق ،أخذته نزوة متأصلة في اعماقه ، ربما كانت تنتظر ايضا اللحظة المناسبة لتسحبه الى عمق الموجة فيندفع بفرح الى الغرق ليتأكد انه يستطيع ان يلمس القاع بقدميه.

كنت أشعر ان كل هذا زيف وان الحقيقة الوحيدة هي(حكمت) بنقاء الطفولة يبكي مندهشا لاكتشافه الجديد بعفوية لم يشأ ان يجرحني ليقول ان امرأة اخرى أخذت أبيه مني.

كانت صدمة عنيفة أفقدتني التوازن وتسببت في أذى عميق ، جلست على السلم الخشبي في ظلمة شاحبة ، لم أستطع البكاء فقد تحجرت دموعي , لم أصرخ ولم ادخل عليهما وبدى المكان غريبا وموحشا , بيت اليهود هذا الذي تسكنه اشباح التي تتخفى في الزوايا المظلمة , لن أعيش به بعد ألآن.

أسرعت الى غرفة النوم وجمعت ما فيها من ملابس لي ولحكمت والمصوغات الذهبية ،لأني لا يمكن أن أتركها لهناء

كنت اقف عند الباب فيما كان عبد المنعم تتملكه حيرة وكانه لم يتوقع مثل هذا الموقف ، شعرت بأنه يعاني من تعب وللمرة الأولى انفرطت الدائرتان لتتدليا على جانبي فمه ،كان يمسح وجهه بكلتا يديه

في لحظة خاطفة انتابني شعور حاد بالخوف وفكرت ان اترك الحقيبتين واخلد الى النوم فقد يكون ما اشعر به كابوسا

كان حكمت يتشبث بالتنورة السوداء الطويلة فتلتف حولي ، ظل يكز على اسنانه بعناد

-ماما ساترك المدرسة واشتغل لن نعيش بالقرب من الخنزيرة

سمعت عبد المنعم ينشج ثم توجه الى المغسلة

-حسنا سنذهب الى بغداد ....ولكن لابد من الحجز في القطار

الصوت الثالث

الأب

تركتنا وحدنا بعد ان قدمت الشاي وقطعتين من (كيك) قالت انها أعدته بنفسها لأنها خبيرة بصناعة الحلويات، كان صوتها ناعما ذا جرس يمتلك رنينا بالغ العذوبة ولكنه يمتزج بغموض غريب ربما لأنها تحرص على أن تتحكم بمخارج الكلمات بطريقة متوازنة لتبدو سيدة قوية الشخصية وامرأة مترفة لا حدود لخيالها.

-اذا احتجت لأي شيء يمكن ان تبعث فريال فسأكون بغرفة الجلوس

كانت فريال حرونة تتطلع دائما الى الكتاب بطريقة على شيء من البلادة المصطنعة،

عيناها صغيرتان بنظرات ثابته ويستقر فوقهما حاجبان كثّان بحاجة الى تشذيب على نحو ما ليخفف من حدة ملامحها المشاكسة ، فتحة فمها تمثل خطا افقيا بشفاه، رفيعة ليس من السهل تكرار النظر اليهما دون الشعور بالضيق

قالت بعدوانية متعمدة : اكره اللغة الإنكليزية

وحينما سألتها: لماذا ؟

قالت : لأني لا أفهمها، أنا اكره كل الأشياء التي لا استطيع فهمها ، تماما كما أكره الظلام ،هل تشرح لي لماذا يجب ان يكون هناك ظلام ... أنا أستطيع النوم حينما ،أشعر بالنعاس حتى والشمس ساطعة ، في الليل يظل ضوء المصباح ينير غرفتي

-وماذا عن بقية الدروس؟

-أحب التاريخ

-ربما هذه علامة إيجابية , حسنا فكري بالليل , يمكن ان تنطلقي مع خيالك ،أن تتصوري عوالم اخرى ،اشياء لا تستطيعين رؤيتها في النهار ! الليل والظلام وانت في الفراش، أو حتى وانت تتطلعين الى السماء يمكن ان تسافري الى آخر الدنيا ، وكذلك اللغة الجديدة ، ان تتعلمي لغة اخرى يعني انك تدخلين عوالم مسحورة غامضة وقد تتضمن مباهج لا حصر لها المهم ألا تتملكك مشاعر معادية مسبقا، اللغة كغرفة نوم تدخلينها لترتاحي ومن اجل الراحة عليك ان تسترخي وتشعري بألفة

-لقد حاولت وفشلت ،أنا كما قلت لك أكره اللغة الإنكليزية

كانت ثمة ضربات خافتة على الباب

قالت فريال – نعم

قالت هناء وهي تدخل– اعتقد ان قليلا من القهوة العربية سيكون مفيدا !لقد علمت من زوجتك انك من عشاق القهوة وازعم إني أجيدها

-شكرا سيكون هذا كرم منك

كانت ترتدي فستانا فضفاضا اكمامه شفافة تكشف عن ساعدها البض ،ويضفي لونه الأزرق الخافت شيئا من الغموض الانثوي ،فكرت ربما علي ان احد من سرعة خيالي الذي يأخذني الى مساحات بظلال بأكثر من لون ،تماما مثل قوس قزح تحت رذاذ ، فيما الشمس تحاول ان تبقي سحر المنظر فتدارى خلف غيمة بيضاء عابرة

رغم السمة العملية التي تأخذ ملامح وجهها فقد كانت تملك حضورا وتتصرف بأنوثة

كانت فريال تنسخ قطعة من القصة المقررة فيما كنت أتابع كتابتها واستمع الى ترديدها الكلمات لأتأكد من سلامة نطقها ، حدث كل شيء بلحظة مشوشة ، منفلته من عمق زمن كان مدفونا تحت ركام من السكون ونمطية الحياة اليومية التي تجري بحكم العادة، زمن يضج بعنفوان وحشي ولكنه محكوم بصمت كجني في قمقم ، كان مختلطا تضغط عليه سماء تثقلها غيوم كبيرة داكنة تنشر لونا رماديا معتما ، وكانت اللحظة كضوء ساطع فتح السماء التي بدأت تصب مطرا كالطوفان ثم تجلى قوس قزح، كانت تضع (الصينية) على الطاولة فيما نفر نهداها من القميص الأزرق وبدت استدارتهما الخمرية تشع يقينا يزلزل قناعاتي المخلخلة ، كان الغبش الملتبس يفك خيوط الليل وينشر رائحة سحرية تبعث فيه خدرا آسرا استسلمت له بشيء من الغرور والانتشاء تماما كما كنت أترك جسدي يطفو على سطح البحر مغمض عيني لأتوارى من اشعة الشمس في بيروت وأنا أبتعد عن الشاطئ أتابع اختفاء الأصوات وهي تغرق في ضجيج الموجات المتسارعة عابرة فوق صدري بلجاجة الى الشاطئ ، حين أعود بتكاسل كنت أعرف ان العديد من العيون ترقبني ، أشعر انه احتفال عرس مسحور

كنت أعبر قوس قزح , افرد الألوان المتداخلة , أطأ أرضا عجائبية يشع فيها عطر مخدر ،عذوبة دافئة تبعث على الاسترخاء .

-تفضل

كان خيط رفيع من بخار يتصاعد ببطء سابحا في الفضاء المترف لغرفة الجلوس ذكرني بأغنية قديمة ، كان الزمن يراوح بين النسيان والذكرى المغلفة بأطياف رمادية وكأني في حلم متفرد في واقع منفلت من ذكريات قراءات في حكايات شهرزاد،

تطلعت في عينيها المشعتين بجذل رصين وكأنها تنتظر عودتي من رحلة البحث فيما وراء قوس قزح ،تناولت فنجان القهوة المذهّب ولكني لم ارشف منه شيئا فقد كان الصمت العميق يتغلغل في اعماقي ، كطفل مأخوذ عقدت الدهشة مشاعري وقدراتي كنت انتظر منها دعوتي للبدء بشرب القهوة.

قالت : كيف هي؟

كمن يصحو من حلم قلت – تبدو لذيذة

ابتسمت بدعوة ناعمة مشجعة

الاسبوعان مرا سراعا كانت فيهما تحاول ان تبهرني بأناقتها فهي ما تنفك ترتدي في كل يوم فستانا يكشف عن ملامح انوثة ناضجة تستعرضها بمهارة فيما تتحدث عيناها بلغة ساحرة

خلف قوس قزح كانت المساحات الخضراء لا تنبئ بأية امكانية للسراب ، كان هناك فقط النجمة القطبية المضيئة تتلألأ في سماء زرقاء مرسلة أشعة فضية تحرك في أعماقي دهشة طفولية . تجاوزت الدلالات التي توحي بها اسرار تتخفى ، خلف رموز وثنية في محاريب شديدة القدسية وقفت عند حدود الطوفان الربيعي

وأنا اعبر وراء قوس قزح ، تداعى الى ذاكرتي ما كان يردده جدي ،الذي عمل (نوخذة) على مركب شراعي ينقل تمور البصرة الى مدن الخليج العربي ويعود بالتوابل والأقمشة الهندية ،كان جدي يقسم على ما يقوله من ان القمر يولد من

البحر ويختفي ليلا في البحر أيضا وإن ظهور النوارس وهي تدور حول المركب يعني ان (ألأرض) قريبة ، و فور وقوف السفينة عند الشاطئ عليك ان تقفز ولكن احرص ان تهبط واقفا

-هل نتزوج ؟

كان العرض مفاجئا وشعرت اني قد تسرعت ولكن لا مجال للتراجع ...كنت دائما افعل ذلك حين اقع في مطب ،التزم الجدية و السير الى امام

طرفت عيناها بسرعة فيما تورد خداها بحمرة مشرقة

قالت -نعم

كان الجواب اكبر من توقعي

عشت بعد ذلك بوجهين يتم تغيير كل منهما عند باب بيتي ، عند باب بيتها كان الرجل الآخر ألأكثر اندفاعا وتهورا والأكثر عنفوانا ايضا.

لا يمكن أن أدعي ان ذلك كان أمرا هينا، ان تعيش بشخصيتين وان تمارس دورا مزدوجا بأحاسيس ومشاعر متناقضة تجتهد ان تعطيها مصداقية ، يربكني ذلك وفي بعض الأحيان كنت استغرب ان اكون انا من يؤدي هذا الدور ، ولكن لم يخامرني شعور بأني اتصرّف كطفل مدلل يريد الاستحواذ على اية لعبة أمامه، كنت اقرب الى ممثل يؤدي دورين في مسرحيتين وعلى مسرحين في الليلة ذاتها ،كان هذا مجهدا ، ولكني كنت بعيدا عن الإحساس بالذنب وحينما اقطع المسافة من (نظران) الى (القبلة) كنت أشعر بحيادية مطلقة وكأني أطل من بعيد على الرجلين ، أستحضر معاناة كل منهما كمن يبحث في الجوانب الفنية للأداء.

حين واجهني حكمت بالحقيقة وهو يسألني بغيض مستنكر ان كنت قد تزوجت من (الخنزيرة) لم اشعر بالغضب ولكني شعرت بالأسف لأنه يبكي بحرقة مضنية ، لم اشعر بالألم لأن ما فعلته، وهذا ما أدركه بوعي كامل لم يكن قد حقق في داخلي بنهاية الأمر الاستمتاع المطلق بالسعادة , ففي مقابل دفق الأحاسيس والمشاعر عند(هيفاء) افتقدت السكينة ودفء المكان الذي يبعث في روحي احساسا بالأمان عند(مديحة).

قالت: لن ابقى في البيت لقد كلّمت أخي من هاتف البريد وسينتظرني في المحطة العالمية غدا

كان صوتها قاطعا , تضغط على مخارج الحروف بقسوة تعبر عن ألم حقيقي وتتساقط الكلمات في اذني بجرس غريب وكأنها تأتيني من مكان مجهول عبر نفق يمنح الصوت مساحات من الفراغ

تابعت :هل ستوصلنا الى المحطة ؟

قلت : بالتأكيد

كان صوتي محايدا لم المس به تعاطفا ولكني احسست برنينه المعدني في اذني بوقع غريب وكأنه صدى أجوفا يأتي من بعيد

هذه هي المرة الأولى التي اجد فيها مديحة تقف كقاض يعكس وجهه الذي يضج في قسماته صمت صاخب يوحي بصرامة احكامه، لهذا لم اجرؤ على ابداء اية رغبة في المناقشة

حين تزوجت مديحة التي كنت المحها وهي تخطر في باحة البيوت الثلاثة لصديقي او حين تقدم الشاي في صالة بيت الزوجة الصغيرة لم يخطر ببالي انها ستكون زوجتي ،كنت أعيش حياة مترفة لا تعبرها هموم او مشاكل

بعد أسبوع من الزواج شعرت اني اقود زورقا في بحر تدفعه ريح مواتية ،ليس غير زرقة البحر وزرقة السماء والريح الرخوة ، وحتى الشمس كانت ودودة يملأ ضوؤها العالم بشعور طاغ بالأمل

ولكن حين تزوجت هيفاء كان الأسبوع الأول بحرا هائجا ورياحا شمالية تأخذ الزورق يمينا وشمالا بحيث لا تترك لي فرصة لجمع اشتات فكري

وحين استقر البحر وهدأت الرياح وجدت نفسي في جزيرة غريبة تشكو من الوحدة،

الاناقة الانثوية تحولت الى اهمال متعمد وكأنها فصلا في منهج معد مسبقا ،وتحولت لغتها الهامسة والموحية الى نبرة حادة تتضمن امرا بالتنفيذ ،ربما انا الذي كنت اتغاضى عن فهم الوقائع التي امامي والمموهة بغطاء احترافي

كانت نظرات حكمت تعكس خيبة امل عميقة وهو ينظر اليّ بعتاب مر لم استطع فتح أي حديث معه ،فضلت ان استجيب لطلبها

حين صعدت الى مقصورة الدرجة الثانية لنقل حقيبتين جمعت فيهما مديحة بعضا من ملابسهما ، شعرت باني أنفصل عن واقع ألفته وتعاطفت معه وان شيئا ما في أعماقي بدأ يهتز على نحو متناغم مع قطرات الدمع التي بدأت تتدحرج ببطء على خدي مديحة ، كان وجهها ألأبيض والذي كان مكتنزا باستمرار بفرح طفولي، قد خالطته صفرة سببها عنف الإجهاد وعدم النوم لليلتين , لم أناقشها في الأمر لأنها رفضت الكلام كما رفضت الاستماع لي وظل وجهها الممتقع خاليا من اي تعبير ونظراتها ثابتة دون ان تشي بانفعالاتها،.

قال أخوها على الهاتف : حسنا يمكن ان ترسلها

بدا متفهما لوضعي ، صديقي زوج الثلاث

-سنتدبر ألأمر بهدوء والوقت هو ما نحتاجه ومن حسن الحظ ان المدارس في عطلة ولن نحتاج الى الاستعجال بنقل حكمت ،على اي حال مبروك زواجك

قال الدكتور عبد الفتاح وهو شاب من الناصرية نقل قبل ثلاثة اسابيع من مستشفى البصرة الى مستوصف في ناحية الفاو ولكنه يواظب على الحضور في مقهى التجار في العشار يوميا حتى الفراغ من قراءة الصحف الواصلة من بغداد ثم يستقل احد الباصات العاملة بين البصرة والفاو وغالبا ما يصل بعد الساعة الواحدة ظهرا الى مقر عمله

-من المهم لنا نحن الرجال ان نتزوج من جديد حين تتوقف المرأة عن تلبية

متطلباتنا

قلت : تزوج اولا ثم انثر هذه الحكم الفريدة

قال : للمعرفة طرق مختلفة

-المعرفة !!

-نعم .. لأن معرفة المرأة نوع من المعرفة الإنسانية ، وهي جزء مهم من علم

الاجتماع

-فّتاحو لا تدخلنا في مغاليق مفاهيمك

-لك ما تشاء , ولكني أحاول ان أجد لك مبررات مشروعة من واقع تطورات اجتماعية متلاحقة لأخفف عنك بعضا من القلق والحيرة التي أراهما في كل قسماتك وعلى اية حال انت حر

-ما يثير استغرابي إنك في السياسة على اليسار أما في العلاقات الاجتماعية فعلى اليمين في حين ان كلا من السياسة والاجتماع على ارضية واحدة

قال ساخرا : بسيطة , السياسة في العقل اما الاجتماع ففي القلب , ثم ما علاقة تكوين الثروة وتوزيعها بالعلاقة بين الرجل والمرأة

كانت مقهى التجار في مدينة (العشار) ،على زقاق ضيق متفرع عن شارع التجارة في البصرة ،الذي يشتهر بالتوابل الهندية وبالأقمشة من جنوب شرق آسيا ، كان الاسم الشائع له سوق (الهنود)، والمقهى ترتفع بحوالي المتر عن ارض الزقاق الإسفلتية وتنتشر فيها كما في بقية المقاهي العراقية بضعة (تخوت) خشبية عليها حصران وفي الواجهة عدة تحضير الشاي والقهوة ومجموعة انيقة من السماورات الإيرانية والهندية ،سمي مقهى التجار لأن معظم اصحاب المكاتب التجارية التي يزدحم بها الزقاق والأزقة المتفرعة يجدون فيه راحتهم كلما احتاجوا الى التخفيف من عناء العمل ، وكثيرا ما تعقد فيه الصفقات التجارية، في المقهى يمكن وبوضوح التمييز بين فئتين من الرواد مجموعة من تجار البصرة يتحدثون بهدوء وبحذر ويرتشفون الشاي ببطء فيما تمر عيونهم بشيء من الضيق في ارجاء المكان ويتبادلون احاديثا بصوت خافت موارب وكأنهم متواطئون على امر ما ، يناورون حين التطرق الى مشاكل العمل واحيانا نادرة .ينزوون في أحد الأركان الداخلية ليوقعوا بعض المستندات

اما الفئة الثانية فقد كانت في الغالب من الشباب الذين كانوا يعملون على الأرصفة، والى ما قبل سقوط الملكية وانطلاق شرائح جديدة لتتسلق الى مراتب، كان هؤلاء كثيروا الصخب فهم يتحدثون بصوت عال ويضحكون بقهقهات مجلجلة ويضربون نرد الطاولة بقوة ويتطرقون الى كل شؤونهم التجارية بثقة متهورة ولم يكن لهم تخصص محدد في العمل ، كانوا يتاجرون بكل شيء ويتلقفون اية فرصة

قد تدر ربحا سريعا ولهذا فان احدهم لا يتورع عن توقيع عقد هندسي لأنشاء بناية حكومية مع قريبه المشرف على تنفيذ المقاولة في الوقت الذي لم ينه بعد المعاملة الجمركية لإخراج شحنة من التوابل المستوردة من الهند والتي كان قد استلم معظم ثمنها من تجار المفرد في السوق

بدأت ارتياد المقهى والتعرف الى عالمي الجديد بعد زواجي من (هناء) ودعوتها لي لتقديم المساعدة في عملها بتحرير بعض الرسائل باللغة الإنكليزية أو الرد على المكالمات الأجنبية بخصوص مشاكل العمل وتبعني الدكتور عبد الفتاح الذي كان يجد في المقاهي مسرحا يعج بقصص بالغة الطرافة ،كان يقول

-تبدو نظراتك شاحبة , لاشك انك تعاني من أمر ما ولكنك تجاهد ان تكون ذلك السعيد الذي لديه امرأتين

-هل تصدق اني اشعر كرجل مهزوم ، تركت الساحة التي أعرفها وانسقت بهوى جامح الى الساحة الغريبة والتي بدت مجهولة لي ، ألا يكرس هذا الفشل والهزيمة؟

-بالتأكيد ولهذا يجب ان تكون ردة فعلك كما أي مقاتل محترف ، تذكر انك متزوج منذ أكثر من عشر سنين

حدق في عيني متكلفا الجدية فبدى منظره مضحكا بعض الشيء وتابع

-إن ما يفعله المقاتل هو أن ينسحب من ارض المعركة ويعيد دراسة الظروف الموضوعية وعوامل التأثير على الساحة ليقرر ان كانت الظروف مواتية لمعاودة الهجوم أم ان عليه ان ينسحب! ولكن عليك ان تدرك ان المعركة ، اية معركة ، لا تحتمل المكابرة واتخاذ القرار بروح الانتقام، لأن ذلك سيكلف الكثير ولن يؤدي الى نصر

لابد من أن اشير الى الخلاف الظاهر بين ارتيادي نادي الموظفين في ابي الخصيب ومقعى التجار في العشار مع التأكيد على ملحوظة مهمة وهي أني تعرفت على المقهى (ربما)في أيام احتضاره

كانت مقاهي أبو الخصيب في ذروة نشاطها في ما بعد الساعة الرابعة مساء ،حيث ينتهي الدوام الرسمي أما نادي الموظفين فيبدأ يوميا بعد السابعة حيث يتجمع

الموظفون ، الاحاديث هنا مختلفة فهي تدور حول العمل ومشاكل البيت وطلبات الاطفال التي لا تنتهي وتتوقف احينا عند شتم الحط السيء الذي يلازمهم ، والمشروبات هنا مختلفة أيضا حيث تكون عادة مشروبات كحولية ،وبعد الكأس الثالثة أو الرابعة ينطلق كل ليلة المعلم فواز بغناء يحمل إشارات جنسية يشجعه التصفيق المتواصل وعد وجد نساء وهكذا يمتد الوقف حتى العاشرة ليلا،

كان النادي بناية انيقة في مدخلها وعند السياج الامامي المطلة على الشارع العام مجموعة من أشجار الصفصاف والدفلى مزروعة بتناسق جميل وتغطي نصف البناية تقريبا بالنسبة للمارة امام النادي ،ثم ساقية صغيرة مرتبطة بنظام الري في البصرة الذي يعتمد على المد والجزر الذي يتعرض له شط العرب ، وبعد الساقية شجيرات ورد الجوري بالوان مختلفة تملأ الحديقة الامامية بعطر أخاذ ينتشر مساء على نحو مميز ، في الصيف تضع إدارة النادي بعض الطاولات في الحديقة ليشغلها بعض كبار موظفي المدينة ، ويقو براعية الحديقة البستاني أبو كاظم وهو حارس البناية أيضا

كنت أفتقد وببطء شديد الجوانب النابضة بالحرارة والحب في علاقتي بهناء وبدأت المعاناة تكرس مللا ينمو في داخلي كفطر سام ولم تحاول هي ان تساعدني على تجاوز الأزمة.

كانت تتصرف معي أثناء العمل كموظف وكان هذا يحرجني امام منتسبي الشركة وعملائها وبدا كأن الأمر لم يكن اكثر من تلفيق بعد ان بددت شمس تموز الوان قوس قزح البهية وتوقف على نحو مطلق تساقط المطر ولم تعد نسمات شباط في صباحات البصرة الندية تمسح على شط العرب الغافي تحت ظلال النخيل ، كنت اشعر اني ابحث عن نفسي حين اقف امام المرآة ولم تعد لدي ذات الرغبة في العناية بشواربي ،كان علي ان أتخذ قرارا ربما هو الأصعب في حياتي ، لكني محرج فلم اتعوّد القبول باني أخطأت ....توقفت عن الذهاب الى مقهى التجار

مساء الخير

مساء النور

كانت تجلس في الصالة الواسعة في الطابق الثاني المطل على النهر القادم من شط العرب مخترقا المدينة ، وامامها بعض السجلات وأوراق عدة تتفحصها بعناية فيما كانت فريال تجلس الى مائدة الطعام تراجع واجباتها المدرسية, وتغرق الصالة بهواء التكييف المنعش

-ارجو ان تجلس

قالتها بلهجة اقرب ما تكون لأمر لا يقبل المناقشة

-آسف ، اشعر بتعب وسأدخل غرفة النوم لأرتاح

-ولكن الأمر غاية في الأهمية ولا يقبل التأجيل

-شؤون العمل عندك دائما لا تقبل التأجيل

-ولكن ألأمر لا علاقة له بالعمل , انه يتعلق بنا

نزعت نظارتها والتفتت نحو فريال

-اذهبي الى الطابق ألأسفل

حين جلست على الكرسي ، صرّت القوائم الخشبية بصوت باهت ، نظرت هي إلي بتوبيخ ، كنت أ عرف انها ستذكرني اعتزازها بهذا الكرسي الذي اشتراه ابوها من الهند من احد افضل النجارين الذين يملكون قدرات فنية عالية في اعمال النجارة بل اكثر من ذلك انهم يملكون احساسا متناغما مع القطع التي ينجزوها وان هذا الإحساس ينتقل الى الشخص الذي يتآلف بسبب الاستعمال الدائم للقطعة ، وهي اذ تترك الكرسي في الصالة فأن ذلك ليس بقصد استعماله وانما بقصد استعادة ذكريات ابيها الذي كان يغفو علية مرتاحا بسب من تناغم احساسه مع القطعة الفنية القادمة من الهند ، لم اخالفها الرأي في أي من المرات التي كانت تعيد علي الحكاية ذاتها وحينما تلمح في تعابير وجهي شيئا من الضيق كانت تضفي على كلامها حنانا يرخم صوتها، تحاول ان تجعلني اتواصل معها.

-هل اجلب لك الشاي؟

-كلا ، فقد شربته في المقهى

Met opmerkingen [D1]:

- كنت هذا اليوم عند الدكتور

صمتت وهي تتطلع نحوي , كانت نظراتها قوية متفحصة اعادت الى ذهني صور قدامى التجار في المقهى الذين كانوا يتمتعون بشجاعة ميكانيكية مدروسة ولكن تسارع الأحداث وتغير ظروف العمل في السوق ودخول منافسة فوضوية متهورة لا تعتمد على العوامل الموضوعية لقوانين السوق التي درجوا على التعامل معها جعل نظراتهم تشوبها حيرة مبهمة، وكأن و ترا معطوبا قد أخلّ بالصوت الهرموني الذي يعطيهم دفقة الثقة.

-لماذا ؟

لاحظت انها لم تكن متعاطفة مع تساؤلي

-حسنا ... لقد شعرت بأعراض غريبة خلال اليومين المنصرمين وذهبت للتأكد

عن ماذا ؟-:

-عن اني حامل

وماذا كانت النتيجة ؟

- حامل !!!!!

مرت لحظات تهت فيها تماما وتمددت في أعماقي مشاعر مختلطة وأحسست ان توهجا قد تملك عيني لأني شعرت بانهما مشدودتان على نحو أعجز من اغماضهما لأستعيد نفسي ،

لم تكن هناء تنتظر مني إجابة ما او تعليقا , كان هذا واضحا في نظراتها الثابتة والعميقة والمبطنة بثقة مبالغ فيها , كانت أقرب الى التحدي منها الى مناشدة التعاطف، وتوصلت الى قناعة واضحة انها تريد ان تكشف لي أمرا غاية في الأهمية ، تريد ان تقول ان التالي هو المهم ولهذا لست بحاجة الى الرد

-لقد اتفقت مع الدكتور على التخلص من الجنين ولهذا لن أكون غدا في المكتب

صمتت لحظة ثم تابعت بآلية

-يمكنك ان ترافقني أو أن تكون في المكتب , لا اريد ان اكرر تجربة الولادة الممضة ولا ان اسهم في خطأ جديد

لم أعلق , شعرت اني كمّا فائضا عن الحاجة لاتخاذ قرار في الأمر ، فلا المكتب بحاجة الى وجودي ولا مرافقتها أمرا مفيدا ، بدا كل شيء أمامي مزيفا , تركت الصالة وهبطت السلم المرمري الى الطابق الأسفل ومن ثم الى الشارع الذي كان خال

وعلى امتداد النهر الراكد الممتد امام البيت كانت أنوار المصابيح الكهربائية المعلقة تلتمع بدفقات متتابعة فتكشف عن صفحة الماء الداكنة.

حين فتحت باب البيت الذي تركته منذ أكثر من شهر أثر مغادرة مديحة وحكمت، أصدرت ظلفة الباب صريرا حادا ، كانت مديحة تطلب مني باستمرار أن أضع قليلا من الزيت على المرابط الحديدية

-لا اريد لهذا الباب اللعين ان يفاجئك بصريره المزعج

وحشة غامضة تخيم على البيت وفي الزوايا يعشش هدوء عميق حتى ليبدو مريبا بتواطؤ مع الظلام الذي يهبط على الجدران بسبب عطل المصباح المعلق في الممر الطويل المؤدي الى الباحة الداخلية.

كنت أشعر بتعب وبشيء من القنوط الذي بدأ يتسرب الى مشاعري ، قنوط جعل تفكيري تتملكه حالة من الخدر , وضعت رأسي تحت صنبور الماء الذي تدفق محدثا وشوشة مقيتة , كان الماء حارا كأنه آت من السخان , ذهبت الى (الثلاجة) واخذت قنية كبيرة من الماء الذي تركته مديحة قبل مغادرتها المنزل، كان الماء باردا الى حد التجمد وهذا ماكنت أحتاجه فعلا للخروج من حالة الإحباط التي ترسم في فضاء الغرفة المظلمة أشباحا غريبة تتحرك بسرعة شيطانية ماكرة وترسم ابتسامات ساخرة وهي تحملق في وجهي الذي اثقله الإجهاد المرير

عادة ما نلجأ في مثل هذه المواقف الى اجراء مقارنة ،لكني لم اقم بذلك وانا اجلس على كرسي هزاز في زاوية الصالة ،شعرت ببساطة بالندم وبإحساس بالقنوط ،

كان الباب يطرق بقوة ربما لأن الطارق ملّ من مواصله الطرق دونما رد

-كفى لقد جئت , هل لك ثأرا مع الباب ؟

كان على الباب (فراش) المدرسة أبو حساني

-أين انت يا أستاذ لقد جئتك بالأمس واخبرني الجيران انك متغيب ولا يعرف أحد اين تكون

-قل بسرعة ماذا لديك

-اتصل بك اقرباؤك من بغداد مرتين واليوم وصلتك هذه البرقية وقد أصر السيد المدير ان ابحث عنك في البصرة كلها

-شكرا

تناولت البرقية التي كانت مقتضبة وباسم شقيق مديحة(احضر ناحيتنا لأمور عائلية مهمة جدا)

كان أبو حساني ما يزال واقفا ،ربما ليتأكد ان البرقية لا تحمل اخبارا سيئة، أخرجت مئة فلس واعطيته

قلت -اجرة الباص الى المدرسة

-شكرا

قالها بامتنان وهو يغادر

حاولت ان أحصل على الخط الهاتفي في مكتب بريد البصرة ولكن تعذر ذلك ، مساء كنت في القطار ، لم أحصل على مقعد في الدرجة الثانية ولهذا حجزت في العربة السياحية التي كانت تزدحم بمجموعات متنوعة ، جنود ،طلبة،

.وبعض الفلاحين ونسوة متشحات بالسواد

ما إن تحرك القطار حتى بدأ احد الجنود بالغناء , كان صوتا حزينا متماوجا فيه شجى جنوبي أجبر الجميع على الأصغاء ، من النافذة الزجاجية كانت تتعاقب بسرعة لاتدع مجالا للاستيعاب ، مناظر متنوعة لبيوت من القصب وبرك ماء

راكد وصبية يلعبون كرة القدم، بدت اجسامهم السمراء كأشباح شديدة البؤس فيما كانت تمرق سماء داكنة لم تظهر فيها بعد النجوم ولكن بقايا قمر باهت وحزين ظل ثابتا بإلحاح في محيط النافذة ،محطات القطار الصاعد الى بغداد كانت بنايات قديمة تعكس نظرة مهندسي الجيش البريطاني والتي بنيت في معظمها ابان تقدم الجيش المحتل الى بغداد ،كان أحد رواد نادي الموظفين في ابي الخصيب يقول كلما يسافر الى الناصرية بالقدار إن تلك البنايات تذكره بإلحاح الفرق بين استعمارين العثماني الذي ينهب فقر العراق والاستعمار البريطاني الذي ينهب ثروة العراق.....وبعد الثورة علينا ان نصبر قليلا لنعرف ماذا سيفعل الثوار بمصير العراق

كنت أقول هذه مقارنات عبثية فيرد استر علينا فالحديث خطر وللجدران عيون وأذان ، يضحك الجميع

العديد من التساؤلات كانت تدور في ذهني , لقد بدأ زمني الرديء ،(هناء) , تتحول الى كتلة جليدية مات فوقها قمر نيسان وسقطت شموسها في لامبالاة في عمق كهوف لا تدخلها الرياح، ثم أكلتها العناكب السوداء حيث ضحت (هناء) بأبننا ضحى هذا اليوم ، و(مديحة) تستعين بأهلها ولكن لماذا ؟

اذا ما أصرت على الانفصال فلن أمانع ، لكن ما يجب أن أنتبه له هو ان لا أنجرف مع المجرى الذي اساق اليه

لكز طفل امه وقال : هذا أخافه

ضحكت ألأم : لماذا ؟ انه هادئ

-شواربه

التصق بأمه وفي عينيه نظرة شريرة ماكرة ، حاولت ان ألاطفه ولكنه تشبث بقوة بصدرها .

-آسفة استاذ فهو لم يشاهد مثلها

-لا عليك اني اقدر خوفه وأعتقد إن مثل هذه الشوارب فات زمنها كما انها تكلفني الكثير من الوقت والمال , بالتأكيد سأغيرهما غدا .

استقبلني شقيق زوجتي بحرارة

مبروك مديحة حامل بثلاثة أشهر ولم اشأ ان أعطي المعلومة على الهاتف لمدير مدرستك وأخيرا لن يكون حكمت وحده ،

وتابع- الثلاثة بانتظارك

كانت مديحة صامتة ونحن نتناول الغداء في الساحة التي تتوسط البيوت الثلاثة، وحاولت الزوجة الصغرى لبهجت ان تلطف الجو

-ماذا ستسمون المولود ؟

لم تسألني مديحة عما إذا كنت قد تركت هناء ،ولكني المح في ثنايا نظراتها هذا السؤال يقف شاخصا فتغيم عيناها

قلت- لقد انفصلت عن هفاء

-ارجو ان يكون هذا الخطأ بلا عودة

-الطلاق

- لا الزواج

حين شددت على يدها استكانت بهدوء

قال حكمت -لنعد الى البيت ، هنا لا أصحاب لي وعبير لم تعد تلعب كرة القدم معي

قالت مديحة -حين تتزوجها ستعود الى اللعب

قال حكمت – لن اتزوجها

في البيت لم تتوقف مديحة عن إعادة الحياة التي افتقدها ، طلبت مني ان أذهب الى المقهى واعطت مدحت كرة قدم (كريكر)

وقالت :اذهب للعب مع اصدقائك، كل شيء هنا بحاجة الى اعادة تنظيم

حين ابديت مخاوفي لأنها حامل

قالت – امي تقول انها في الشهر السابع من الحمل كانت تتولى كل شيء

ذياب فهد الطائي

المؤلفات المنشورة

البترول في الخليج العربي "جزأين " الكويت 1967

النفط بين التأميم والمشاركة ، الكويت 1968

تنفيق الريع ،الكويت 1970

الصبار الاورق "رواية " مكتبة خالد بغداد 2004

ورد الدفلى "رواية :مكتبة خالد بغداد2005

ضوء بلا ظل "رواية ، مطبعة هيثم بغداد 2006

تاريخ الصحافة في البصرة من 1889 لغاية 2009 دار الينابيع للطباعة والنشر دمشق 2010

التضليل الإعلامي من صناعة الخبر الى صناعة السينما- دار الينابيع للطباعة والنشر دمشق 2011

حديث في الممكن "رواية " دار أمل الجديدة دمشق 2014

ضفاف أخرى "رواية " فازت بالجائزة الثانية لمسابقة وزارة الثقافة العراقية عام 2012 وصدرت عن دائرة الشؤون الثقافية عام 2015

الاشباح والامكنة " رواية " دار امل الجديدة دمشق 2015

الصحافة اليسارية في العراق من 1924 لغاية 2003 دار امل الجديدة دمشق 2015

الصحافة النسائية في العراق من 1924لغاية 2011 دار امل الجديدة دمشق 2016

حكاية السيدة داني "رواية "مكتبة الطليعة العلمية عمان 2017

من حي الزنجيلي الى حي النصر "رواية "مكتبة الطليعة العلمية -عمان 2018

مقاربات في المنجز الشعري للشاعر الاماراتي حبيب الصايغ – دار غيداء للطباعة والنشر -عمان 2018

أثر الازمات المالية على النظام الاقتصادي العالمي - دار غيداء للطباعة والنشر -عمان 2019

دائرة النسيان "رواية "مكتبة الطليعة العلمية -عمان 2019 الرواية فازت بالجائزة الثالثة للإبداع الروائي في العراق

الطريق الى أمستردام "رواية " دار جهينة -عمان 2021

وادي الأرواح " رواية "دار مابين النهرين -عمان 2023

ضوء "رواية " دار جهينة -عمان 2024

نضال النساء في مجال الصحافة والفلسفة -دار غيداء للطباعة والنشر والتوزيع -عمان 2024